دراسات فلسطينية ٥٠

اليسار الصهيوني

من بدايته حتى إعلان دولة إسرائيل

عزيز العظمة

منظمة التحرير الفلسطينية
مركز الأبحاث



Aziz Azmeh
LEFT-WING ZIONISM : From its Inception
to the Declaration of the State of Israel
Palestine Monographs No. 50
Palestine Research Center
606 Sadat St., Beirut, Lebanon.

اليسار الصهيوني

من بدايته حتى إعلان دولة إسرائيل

عزيز العظمة



منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث
بيروت
كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩

محتويات الكتاب

تمهيد

هذا هو الجزء الاول من دراسة شاملة في اليسار الصهيوني منذ مولده الى الوقت الحاضر ، ويغطي هذا الجزء ما سبق اغتصاب فلسطين ١٩٤٨ .

وقد حرص المؤلف ان يتبع منهجا علميا خاليا من الافكار المسبقة قدر المستطاع ، وذلك ليتمكن من ان يقدم الى القارىء تحليلا علميا للموضوع يتتبع جذوره التاريخية في المسألة اليهودية وجذورها التاريخية ، مما اضطره الى التوسع قليلا في الحديث عن التاريخ اليهودي عموما بشكل مقدمة للدراسة ، ليضع الموضوع في اطاره العام وفي الجو التاريخي الذي احاط به وليصحح الكثير من المفاهيم الخاطئة التي يقع بها الكتّاب (وبينهم بعض العرب) بنتيجة التحريف الصهيوني المألوف للتاريخ اليهودي .

اما من حيث تحديد « اليسار الصهيوني » فان المؤلف يوضح الامر بما يلي :

« يجب علينا ، اتباع منهج علمي خال بقدر المستطاع من الافكار المسبقة . وبدراستنا هذه عن اليسار الصهيوني ، سنحاول ان نقدم للقارىء تحليلا علميا لموضوعنا ، يتتبع جذوره التاريخية في المسألة اليهودية وجذورها التاريخية ، ولهذا السبب استميح معذرة القارىء ان اطلت الحديث قليلا في التاريخ اليهودي عموما بشكل مقدمة لهذا الكتاب ،

فالحديث هذا سيضع موضوعنا في اطاره العام وفي الجو التاريخي الذي ادى الى ظهوره ، كما انه سيصحح اية مفاهيم خاطئة مستمدة من تحريف التاريخ اليهودي الذي قام به الصهيونيون والبعض من الكتّاب العرب .

بالامكان حدوث اختلاف حول ما يمكن وما لا يمكن تسميته « باليسار الصهيوني » ، فمفهوما اليمين واليسار ، كما نعلم مفهومان نسبيان يختلفان باختلاف موضوع اختلاف وجهات النظر . بالنسبة للصهيونية ، يمكن تصنيف اليمين واليسار على الاسس المتبعة عادة في يومنا هذا ، اي بين من يدعو للاشتراكية ومن يدعو للرأسمالية . كما انه يمكن تصنيف اليمين واليسار على اساس نظرة كل من الفئتين للدين اليهودي . وفي رأينا ، يشكل التصنيف الثاني اساسا افضل لتبلور مفاهيمنا عن اليمين واليسار . فالصهيونيون فئتان عامتان : اولئك الذين تعلقوا باهداب الدين اليهودي (بالرغم من ان الصهيونية بذاتها تشكل ردة فعل رافضة ضد الدين اليهودي) ، وهؤلاء الذين رفضوا الدين اليهودي. فان كان التفريق بين اليمين واليسار مستندا على التفريق بين المحافظين والتقدميين ، كان تصنيف اليمين واليسار الصهيونيين على اساس نظرتهم للدين تصنيفا صحيحا . ثم ان معظم الفئات الصهيونية التي رفضت الدين تبنت الاشتراكية ، فسيكون تصنيفنا هنا معتمدا على الاشتراكية والعلمانية مجتمعتين ، فهناك الكثير من الفئات الصهيونية التي تبنت العلمانية والرأسمالية ، كما انه كانت هناك بعض الفئات الصهيونية المتدينة التي تبنت التنظيم الاشتراكي بشكل المزارع الجماعية .

بيد ان هذا التصنيف المتبع هنا ليس خاليا من الصعوبات . فحزب الماباي ، مثلا ، ابتدأ في اوائل هذا القرن كحزب ماركسي تحت اسم « عمال صهيون » ، الا انه استمر

في الانحراف نحو اليمين منذ بدايته ، حتى اصبح في عام ١٩٤٨ حزبا يمثل ائتلافا كبيرا بين العمال وبين البورجوازية ، سيطرت عليه البورجوازية ، كما سنرى فيما بعد . بالرغم من هذا ، سنعتبر الماباي كحزب يساري وسطي حتى ١٩٤٨ لاعتماده على قواعد عمالية تدّعي الاشتراكية ، ولدوره الاساسي في قيادة القطاع الاكبر من اليسار الصهيوني ، وعلى وجه الخصوص ، لانه يشكل النتيجة المنطقية للتطور العملي للايديولوجية الاشتراكية ـ الصهيونية والشكل المحقق لنزعاتها الكامنة .

وضمن منهجنا المعتمد على النظر الى الاحداث وتقييمها من خلال اطار مادي تاريخي ، يرجع الاحداث هذه الى اسسها المادية والتاريخية التي وحدها يمكن ان تعبّر بحق عن الاحداث هذه ، ضمن المنهج هذا ، لا بد ان ننظر للامور من خلال اطار واسع يتخطى هذه الاحداث كأحداث مجردة ويضعها في السياق العام للاحداث الجارية حولها . فنظرنا لليسار الصهيوني اذن ضمن الاطار الاكبر ، اي من خلال بنائه «للوطن القومي اليهودي» في فلسطين ومن خلال دوره في العمل الصهيوني ككل ، حتى نتمكن من فهم طبيعة اليسار الصهيوني من تأثير اعماله على محيطه . فانه ليس من الكافي ان ننظر الى نظرة اليسار الصهيوني لنفسه ، بل علينا ان ننظر لتأثيره الموضوعي » .

انيس صايغ

المدير العام لمركز الابحاث

القسم الاول : اوروبه

الفصل الاول

مقدمة في التاريخ اليهودي عامة

اليهود واليهودية

في دراسة التاريخ اليهودي ، كما هي الحال في اية دراسة اخرى تتناول موضوعا تاريخيا ، علينا النظر الى جذور الموضوع لا الى واجهته ، فان النظر الى الواجهة يعطينا فكرة سطحية عن الموضوع هذا لا تسمح لنا بفهم موضوعنا . ففي دراسة التاريخ اليهودي ، علينا ان ننظر اذن الى الخلفية الاجتماعية والاقتصادية التي تقوم بمثابة ركيزة تستند عليها الواجهة الخارجية ـ الدين اليهودي . او بكلمة اخرى ، يجب علينا ان ننظر لاستمرار وجود اليهود عبر التاريخ لا كاستمرار لوجود الدين اليهودي ، بل كاستمرار لدور اليهود الاقتصادي الذي ادى الى استمرارهم كفئة اجتماعية محددة بدين ، فان اليهودية ، بعكس ما يعتبره بعض المؤرخين بمعطية بديهية ، « لم تستمر بالرغم عن التاريخ ، بل بسبب التاريخ » (١) .

لنتعرض اولا لخطأ شائع . يظن معظم دارسي التاريخ اليهودي ، يهود وغير يهود ، بأن تشتت اليهود حدث نتيجة

---

١ ـ كارل ماركس : عالم بدون يهود .

لعمل عدواني خارجي ضدهم ، وبالضبط ، لسحق الرومان لثورة باركوخبا عليهم في العام ٧٠ ميلادية (٢) . ولكن الوقائع التاريخية تشير بكل وضوح الى خطأ هذه الفكرة . فان المؤرخ الروماني اليهودي جوزيفوس ، مثلا ، يقول بأنه نادرا ما يوجد اي مكان في العالم خال من بعض اليهود (٣) . كما انه من المؤكد ان في العام ٧٠ ميلادية ، كان ثلاثة ارباع اليهود يعيشون خارج فلسطين (٤) . ثم ان قول جوزيفوس ، الذي عاصر ثورة العام ٧٠ ، يدل على ان تفرق اليهود بدأ منذ زمن بعيد .

يعزو كارل كاوتسكي تفرق اليهود وهجرتهم المستمرة من فلسطين بعد هجرتهم اليها الى طبيعة البلاد الجغرافية . فان فلسطين بلاد جبلية وصحراوية، واراضيها القابلة للزراعة محدودة . وبتزايد السكان ، وعدم وجود الوسائل العلمية لاستصلاح الاراضي ، اضطرت الفئة الزائدة من السكان للهجرة (٥) . كما ان فلسطين كانت ملتقى التجارة العالمية آنذاك ، وبالتالي نمت فيها فئة كبيرة وخبيرة من التجار .

نادرا ما يكون المهاجر منتميا الى العمليات الانتاجية الاساسية في موطن هجرته ، فهو في معظم الاحيان يتعاطى الاعمال التبادلية ، واهمها التجارة . وليس بامكاننا اعتبار اليهود كاستثناء من هذا القانون شبه العام والطبيعي . بل

---

٢ ــ الطريف هو ان هناك من يعتقد ان ثورة بركان فيزوفيوس التي حطمت مدينة بومبي الرومانية كانت نتيجة لغضب الله على الرومان ، وذلك لسحقهم ثورة احدى الملل اليهودية (ثورة بار كوخبا) .

٣ ــ ابراهام ليون : المسألة اليهودية . ص ٣٠ .

٤ ــ المصدر السابق ، ص ٣٠ .

٥ ــ المصدر السابق ، ص ٣١ .

بالعكس ، فان قرونا من الخبرة والعقلية التجارية كانت وراءهم عند هجرتهم واستيطانهم في البلدان المختلفة . فنحن نراهم ممسكين بزمام التجارة في كل انحاء الامبراطورية الرومانية ، لدرجة انهم استمتعوا بالقدر الكبير من الحكم الذاتي ، كما ان الاباطرة الرومان لم يفرضوا عليهم دين الدولة الرسمي كما فعلوا مع بقية الفئات (٦) .

ادى هذا التركيز اليهودي على تعاطي التجارة والتجارة فقط الى بداية ظهور العداء لهم . فقد كان المجتمع الروماني مبنيا على نظام الاقتصاد الاستعمالي ، حيث تنتج كل جماعة صغيرة من الناس كل ما تحتاجه من طعام ولباس الخ ... وبدون ان تتعاطى اي عمل تبادلي مع اية فئة اخرى . هذا الشيء جعل الجاليات اليهودية خارجة عن السياق الاقتصادي العام ومنعزلة عن بقية الفئات الاجتماعية ، تعمل على فضلاته وتستغلها ، مما ادى ، في البداية ، الى الشعور بالريبة تجاههم ، كما يشعر كل انسان بسيط فطريا بالريبة تجاه ما يراه غريبا ، ثم اشتد هذا الشعوربالريبة وتحول الى شعور عدائي ، هذا الشعور الطبيعي بالعداء « تجاه التاجر في كل مجتمع مرتكز اساسا على انتاج القيمة الاستعمالية » (٧) . اي ان شعور المواطن العادي كان شعورا عدائيا نحو تاجر يعيش بطريقة غريبة عنه ، مستمدة من دين مختلف عن دينه . كما كان هناك العامل الثقافي الذي يحتقر العمل التبادلي لانه لا ينبع مباشرة من الارض (٨) .

---

٦ ــ المصدر السابق ، ص ٣٢ .
٧ ــ المصدر السابق ، ص ٣٣ .
٨ ــ من الجدير بالذكر ان هذا الاحتقار للعمل التبادلي يرجع الى العصر الاغريقي ، فقد كتب ارسطو في كتاب

(التتمة على الصفحة التالية)

ثم ان انتشار المسيحية في الامبراطورية الرومانية ، وتبني اواخر الاباطرة لهذا الدين وجعله دين الدولة الرسمي ، لم يؤثر على بقاء اليهود يهودا ، ومع ان هذا الدين ابتدأ من احدى الملل اليهودية . بالاضافة الى ذلك ، لم تستطع المسيحية تحويل اي من اليهود خارج فلسطين الى المسيحية (٩) . ولا غرو ، فان وجود وظيفة اقتصادية محددة لليهود خارج السياق العام لنمط الانتاج اضفى عليهم صفة الجماعة المحددة ، والتي لم تشأ تغيير وضعها الاجتماعي . فان اعتناقها لاي دين آخر كان سيزيل عنها هذه الصفة الخاصة . فاليهود يكوّنون تاريخيا طبقة مهنية (١٠) اجتماعية ، محددة بايديولوجية معينة ـ الدين اليهودي ـ ، ذات وظيفة اقتصادية محددة ، الشيء الذي اضفى عليهم عناصر حضارية ولغوية شبه موحدة بالرغم من انتشارهم في اماكن بعيدة عن بعضها ، واضحت اللغة العبرية اللغة التجارية في العصر الروماني وحتى القرن الثاني عشر . وهذا اعطاهم صفة القومية المشتتة ، فان « قومية اليهودي الخرافية هي القومية الحقيقية لرجل المال (١١) .

السياسة « ان ما هو بحق (اكره انواع العمل في سبيل الحصول على المال) هو هذا النوع من الربى ، فمنه يربح الانسان مالا من المال ، وليس من استعمال هذا المال استعمالا طبيعيا » . (السياسة ، ١ ، ١٠ ، ١٢٥٨ ب ٢) .

٩ ـ ليون ، المصدر نفسه ، ص ٣٤ .

١٠ ـ ماكس فيبر : التاريخ الاقتصادي العام ، ص ٢٥٤ . يقارن فيبر الطبقة المهنية Caste اليهودية بنظام الطبقات المهنية الساري في الهند .

١١ ـ ماركس ، المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

ادى هذا الاستيلاء الكامل على التجارة الضرورية الى اتساع نفوذ اليهود وتركيزهم في المناطق التجارية الهامة كالاسكندرية مثلا ، وببداية الانهيار الاقتصادي للامبراطورية الرومانية في القرن الثالث ، اخذ نفوذهم يتسع عما كان عليه قبلا . هذه الطفيلية الاقتصادية اخذت تنمو وتتسع بزيادة التعفن الاقتصادي في اوروبه الذي كانت بدايته من انهيار الامبراطوريةالرومانية، وبزيادة هذا التعفن عبر القرون الطويلة حتى القرن الثاني عشر ، بداية انهيار اقتصاد القرون الوسطى ودلائل بداية ظهور الاقتصاد التبادلي في اوروبه .

يتبين لنا من هذا الاستعراض السريع ان اليهود في القرون الوسطى كانوا يكونون فئة اقتصادية تعيش على حساب النظام القائم العفن ، ولتأكيد المصالح الخاصة لهذه الفئة كان لا بد لها ان تفصل نفسها عن محيطها الاكبر باتباع نمط خاص من المعيشة مستمد من دين ملائم لهذا النمط التجاري من الحياة (١٢) . وان اكبر دليل على هذا الارتباط المباشر بين وضع اليهود كطبقة مهنية وبين الدين اليهودي هو الامثلة العديدة لاعتناق كل جالية يهودية الدين المسيحي

---

١٢ ـ ان الروح التجارية معبّر عنها بشكل واضح في الكتب الدينية اليهودية : « ان الصالحين يحبون مالهم اكثر من اجسادهم » (سوتا ، ١٢ أ) لقد علم الحاخام اسحق بانه يجب على الرجل ان يبقي ماله متحركا دائما (بابامزيا ٤٢ أ) « عليكم ان تسلفوا الشعوب ، ولكن يجب الا تستلفوا » (التثنية ١٥ ، ٦) « ان من يحب اللذة سيكون فقيرا ، ومن يحب النبيذ والزيت لن يكون غنيا » (الامثال ٢١ ، ١٧) (نقلا عن ليون ، المصدر نفسه ، ص ٣٣ . توجد هناك امثلة اخرى).

او الاسلامي حال تخليها عن دورها الاقتصادي (١٣) .

حتى بداية القرن الثاني عشر ، كما رأينا ، كانت اهم خصائص النظام الاقتصادي في اوروبه هو عدم وجود انتاج سلعي ، فقد كان الانتاج موجها نحو الاستهلاك المحلي ، وكانت كل من المقاطعات الجغرافية ، المكتفية ذاتيا الى حد كبير ، تتصل بالعالم الخارجي عبر التاجر اليهودي . وكانت التجارة في تلك الفترة مركزة بشكل رئيسي على التجارة مع الشرق. وفي القرن الحادي عشر ، وبازدياد اهمية التجارة مع الشرق ، وجد الحافز على الانتاج الموجه نحو التصدير ـ اي ان تطور التجارة حفز الانتاج المحلي من اجل التجارة والتبادل . بهذا الشكل ، اعطى انتاج القيمة الاستعمالية مكانه لانتاج القيمة التبادلية (١٤) .

ادى هذا الى ظهور طبقة قوية من التجار المحليين الذين سيطروا على توزيع المواد الخام وعلى بداية ظهور الصناعات المعدّة للتصدير، وبما انهم كانوا قد نبعوا من العملية الانتاجية الجديدة مباشرة ، اصبحوا في وضع يمكنهم من القضاء على احتكار اليهود ـ واحتكار اليهود للتجارة نابع من كونهم دخلاء على الاقتصاد ، لا نتيجة له كالتجار الجدد ـ والاستئثار بأهم العمليات التجارية . ولكن هؤلاء التجار المحليين الجدد كانوا

---

١٣ ـ ليون ، المصدر نفسه ، ص ٤٢ . مثل الجالية التي اعتنقت الاسلام حال ابتداء اهتمامها بالزراعة وامثلة اخرى .

١٤ ـ المصدر السابق ، ص ٣٦ ، ٩٥ وما بعدها . احد اهم الاشارات الى تزايد قيمة التجارة مع الشرق هو الحملات الصليبية ، التي توخت فيما توخت « فتح الطريق » الى الشرق .

يفتقرون الى رؤوس الاموال الضخمة اللازمة لعملياتهم التجارية ، وكان التاجر اليهودي المصدر الوحيد للمال ، وبذلك تحول اليهودي من تاجر الى مراب ، وهذا ما ادى الى ارتفاع اهمية بعض اليهود المالية والمصرفية حتى يومناهذا. هذا ما حصل لاغنياء اليهود ، اما التجار الصغار فأصبحوا في كثير من الاحيان مرابين صغارا يستغلون الناس العاديين بشكل مباشر . ومن اهم الاشارات الى الصراع الاقتصادي ضد اليهود هو ظهور العداء للسامية مجددا واضطهاد هؤلاء اليهود ، بعد ان كان العداء لهم في القرون الوسطى لا يتعدى الهجوم الكلامي ، الا انه في بداية الاقتصاد التجاري اخذ شكل مذابح في كثير من الاحيان (١٥) . وبشكل عام ، كانت فترةالانتقال منالعصور الوسطى الى العصر الرأسمالي اقسى فترة على يهود اوروبه الغربيين ، فقد كانرأس المال اليهودي في صراع مع جميع الفئات الاجتماعية .

هذا التدهور في وضع اليهود نراه في اوروبه الغربية ، اما في اوروبه الشرقية المتأخرة نسبيا ، فاننا نرى العكس تماما (١٦) . فاننا نرى استمرارا لدور اليهود الاقتصادي كتجار كبار وكمحتكري التجارة في مجتمع لا يزال في حالة الاقتصاد الطبيعي المكتفي ذاتيا . فقد استمتعوا بالغنى الفاحش من جراء سيطرتهم التامة على التجارة الخارجيةومن تسليفهم المال للملوك والامراء بفوائد عالية وبالاستيلاء على الكثير من الاراضي التي قدمتكضمانات للديون الملكية (١٧).

---

١٥ ــ المصدر السابق ، ص ٩٧ .
١٦ ــ ماكس فيبر ، المصدر نفسه ، ص ٢٦٣ وما بعدها .
١٧ ــ ليون ، المصدر نفسه ، ص ١٤٤ وما بعدها .

واستمتعت الجاليات اليهودية بدرجة كبيرة من الاستقلال والحكم الذاتي ، حيث كانت لهم الحقوق الكاملة لانتخاب قضاتهم وحاخاميهم ، وفي جمع ضرائبهم وتعليم اولادهم . بالاضافة الى ذلك ، كان لكل جماعة يهودية مندوبون للاجتماعات الدورية « للجمعية العامة للمجالس اليهودية في بولنده » التي كانت لها صفة البرلمان اليهودي . وعلى حد قول المؤرخ غريتز ، « كانت الظروف تسمح لهم بان يؤسسوا دولة في داخل الدولة » (١٨) .

كان يهود اوروبه الشرقية في اوج عزهم في القرنين الخامس عشر والسادس عشر . وفي بداية القرن السابع عشر ، اخذت سلطة الملوك تضعف – وكان الملوك حماة اليهود من النبلاء – واندلعت الحروب بين بولنده وروسيه ، وكانت ساحة الحرب منطقة التجمع الاقصى لليهود . كما ان اقتصاد القرون الوسطى كان قد بدأ في الحركة وبالاتجاه نحو الرأسمالية . كل هذا اثر تأثيرا كبيرا على وضع اليهود . فان الحروب قضت على الكثيرين منهم وادت الى هجرة الكثيرين . كما ان بداية التحرك نحو الراسمالية ادى الى نزول العدد الكبير منهم الى مستوى المراباة الصغيرة والاستغلال المباشر لعامة الشعب ، وهذا ادى الى نزول اليهود الى مستوى وسطاء النبلاء الصغار – ومن ثم الى نقمة عامة الفلاحين عليهم والى المذابح ، مثل قضاء الكوزاك على ٧٠٠ جالية يهودية في العام ١٦٤٨ . هذا ادى الى موجة كبيرة من النزوح الى الشرق ، الى اوكرانيه (١٩) .

١٨ – عن المصدر السابق ، ص ١٥٢ .
١٩ – لوسي دافيدوفتر : التراث الذهبي ، ص ٣ .

الاستنارة (٢٠) .

ان الفترة ما بين القرنين الثاني عشر والثامن عشر هي فترة تطور نمط الانتاج الراسمالي وظهور طبقة اجتماعية ، تجارية في اول الامر ثم صناعية ، عن طبقة حرفيي القرون الوسطى، وتقوي هذهالطبقة اقتصاديا وسيطرتها شبه التامة على الاقتصاد الاوروبي الغربي . هذه الطبقة هي التي تعرف بالبورجوازية . بيد ان هذه القوة الاقتصادية استوجبت تعبيرا سياسيا ، اي ان الطبقة البورجوازية ، بعد سيطرتها الاقتصادية ، كانت بحكم الطبيعة تطالب بالسلطة السياسية ، التي من شأنها ان تقوي هذه السلطة الاقتصادية وتحافظ عليها . بيد ان النظام السياسي الذي كان قائما آنذاك كان مرتكزا على السلطة المطلقة للملوك وعلى حكمهم « بارادة الله » وبمساعدة الكنيسة .

لذا ، وليصبح التعبير السياسي عن السلطة الاقتصادية ممكنا ، كان لا بد من تغيير جذري في الايديولوجية السياسية والاجتماعية ، ومن هنا بدأت افكار المساواة والديموقراطية والحرية والى ما ذلك من افكار لبرالية . وفي القرن الثامن عشر ، قرن الاستنارة ، اشتد احتدام هذا الصراع الايديولوجي بين ايديولوجية الطبقات الصاعدة اللبرالية وايديولوجية الملوك المطلقة . ففكرة العقلانية التي توخت النظر في الدين نظرة موضوعية كان من شأنها ان تغير وجهة النظر لحق الملوك الالهي في السلطة المطلقة ، وفكرة حقوق الفرد والمساواة التي جعلت البورجوازي مساويا للنبيل وبالتالي له الحق في السلطة السياسية .

ولم يكن اليهود الغربيون بمعزل عن هذه الافكار ، وعن

---

٢٠ — Enlightenment

هذه نشأت حركة الهسكالا (الاستنارة) ، وبدأت مع موسى مندلسون (١٧٢٩ ـ ١٧٨٦) الذي ترجم التلمود الى الالمانية ليجعل تعلم العبرية ، وبالتالي التعلق بالتقاليد اليهودية ، غير ضروري . كما انه دعا الى اندماج اليهـود في محيطهم الاوروبي وتخليهم عن اليهودية كمجموعـة طقوس وعادات غريبة ، وحاول جعل الدين اليهودي دينا علمانيـا لا تشوبه شوائب خرافية عن « شعب الله المختار » وما الى ذلـك . كان هذا كله متماشيا مع روح العصر ، الذي كان يدعو الى المساواة وعدم التعصب الديني . واهم اتباع مندلسون دافيد فريدلندر (١٧٥٦ ـ ١٨٣٤) رئيس حركة الاصلاح الديني الذي حاول ازالة العوامل العنصرية والقبليـة من الدين اليهودي وجعله دينا انسانيا يسهل الاندماج (٢١) ، كما انه دعـا الى اعتماد اللغـة الالمانية في الصـلاة بـدلا مـن العبرية (٢٢) .

وجاءت الثورة الفرنسية متوجة ايديولوجية الاستنارة بمفهوم حقوق الانسان ، مساعدة على اندمـاج اليهود في محيطهم وتتمة لقول لسنـغ Lessing بمساواة الاسلام والمسيحية واليهودية . وبالفعل ، اندمـج الكثير منهم على اساس فلسفة « يهود في البيت ورجال في الخارج » ، على

---

٢١ ـ يجب ان لا ننسى بان اليهودية منذ اقدم العصور بدأت كدين قبلي ، والتأكيد على هذه القبلية بفكـرة « الشعب المختـار » . كان هـذا من الاسباب الايديولوجية التي منعت من الاندمـاج والتي اكدت وضع اليهود الخاص في القرون الوسطى .

٢٢ ـ هوارد مورلي ساخار : مجرى التاريـخ اليهودي الحديث ، ص ٥٨ وما بعدها .

حد قول احدهم (٢٣) ، كما اعتنق الكثير منهم المسيحية . وكان التعبير القانوني لعملية الاندماج هذه هو قرار نابوليون في العام ١٨٠٧ امام المجلس اليهودي الاعلى ، باعطاء اليهود جميع الحقوق المدنية ، وجعلهم فرنسيين من الجالية اليهودية ، خاضعين للتجنيد وبقية الواجبات القومية (٢٤) . ولا عجب في استعداد اليهود للتخلي عن يهوديتهم . فان الاساس الاجتماعي الذي برر الكثير من العقيدة اليهودية قد زال ، وبذلك زال اليهود كفئة اقتصادية ، والذي بقي من الدين اليهودي بعد الاندماج هو ما هو مشترك مع بقية الاديان التوحيدية . فان العناصر العنصرية من اليهودية كانت قد زالت لزوال مبررها .

وقد قامت مقابل وضد الحركات الاصلاحية هذه حركة الهاسيدية الرجعية ، التي اصبحت اكثر تزمتا وتعصبا بوجود حركة اصلاحية . فقد كانت تتمسك بحرفية الدين اليهودي وطقوسه التي اخليت من مضمونها واصبحت مجرد طقوس تعبر عن نوع من التعاضد الاجتماعي والانتماء الى ان اصبحت، بعد تعريفها من محتواها ، هشة و « قابلة للكسر » مما زاد من تعلق اصحابها بها . ولم تنتشر الهاسيدية في اوروبه الغربية ، بل كان نجاحها في اوروبه الشرقية المتأخرة نسبيا ، حيث كان هذا التفريغ للطقوس اليهودية من مضمونها عملا حديثا جدا زمنيا ، اذ لم يكن هؤلاء اليهود قد اعطوا المجال الزمني الكافي لتخليهم عنها او استعدادهم للتخلي عنها . ثم ان الكثير منهم لم يكن قد تأثر بعد ببوادر ظهور الراسمالية وعلى الخصوص في روسيه .

---

٢٣ ـ يهودا ليب غوردون ، احد قادة الهسكالا في روسيه ، نقلا عن ارثر هرتزبرغ : الفكرة الصهيونية ، ص ٢٦ .

٢٤ ـ المصدر السابق ، ص ٢٢ .

الصهيونية .

« ولدت الصهيونية عن انفجارات المذابح الروسية في ١٨٨٢ ، وفي ضوضاء قضية درايفوس ـ والقضيتان تبيّنان تأزم المشكلة اليهودية في اواخر القرن التاسع عشر » (٢٥) .

ان تطور الرأسمالية السريع في شرق اوروبه خلال هذا القرن (٢٦) وضع اليهود في موضع يرثى له : فقد قضت الرأسمالية على ضرورة التجارة على نمط القرون الوسطى ، واصبح اليهودي اما مرابيا صغيرا واما عاطلا عن العمل ، وهذا ادى الى ازدياد العداء للسامية ولمذابح ١٨٨٢ . اما في اوروبه الغربية ، فان العادات القديمة والمغروسة غرسا عميقا لا تزول ، واعني هنا العداء للسامية ، وتفتح الامم بالمفهوم اللبرالي ، واغلاق الحدود القومية للانفتاح الاقتصادي واشتداد المنافسة الداخلية ، كل هذه ادت الى جعل اليهود البورجوازيين الصغار اول ضحايا الاضطهاد : فهم منافسون لاهل البلد الاصليين ، ومن هنا برز العداء للسامية بعد فترة خمود تلت نشوة الانتصار اللبرالي . وبرزت بشاعة هذا الشعور المعادي للسامية بشكل واضح في قضية درايفوس.

وكان لتأزم المشكلة اليهودية حلان : الاول قدمه اليهود المتدينون ، وهو انتظار المخلّص ، والثاني هو الصهيونية . فالصهيونية ، اذن ، نتيجة وضع فئة هامشية نبذها البنيان الاجتماعي بعدما قضى على وظيفتها ، وبالتالي على مبرر وجودها كفئة ، وكان هذا القضاء على وظيفتها سريعا لدرجة ان التغيير الاجتماعي لم يهيأ له بتغيير ايديولوجي ، بحيث

---

٢٥ ـ ليون ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٥

٢٦ ـ انظر الفصل الثاني .

ان اليهودي لم يتمكن من استيعاب موقفه ووضعه الجديد والعمل على هذا الاساس . ثم ان وضع اليهود في شرق اوروبه في اواخر القرن الماضي ادى الى هجرة الكثير منهم الى اوروبه الغربية (٢٧) ، حيث زادوا تفاقم المشكلة اليهودية من جهة ، ومن جهة اخرى ، وبفضل تعلقهم بدينهم ، ادوا الى تقوية التيارات المعارضة للاندماج هناك . وبدون شك ، ان التأثير العكسي لهجرة يهود اوروبه الشرقية الى الغرب هو ما اثار اهتمام بعض اثرياء الغرب اليهود بتوطين اليهود في الارجنتين وفلسطين ، فهم بعملهم هذا انما ارادوا ان يبعدوهم عن انفسهم ويحولوا دون اشتداد العداء للسامية ، الشيء الذي لا بد ضار لمصالحهم (٢٨) .

وكانت اولى الدعوات الى اقامة وطن في فلسطين دون جدوى ، فلم تكن اوروبه مستعدة لها . ولكن ليو بنسكر (١٨٢١ ـ ١٨٩١) يعتبر اول من وضع الافكار الصهيونية بشكلها الذي نعرفه ، وذلك في كتيبه « التحرير الذاتي » (١٨٨٢) الذي وضعه بعد مذابح ١٨٨٢ مباشرة . يقول بنسكر في هذا الكتيب ، كما ردد بعده كل صهيوني ، بان اليهود اغراب منبوذون ابدا وان الحل الوحيد لمشكلتهم هو ان يكونوا قوما بكل مكوّنات القومية وبذلك الشكل يقومون بتحرير ذاتهم . ولكن الاهم من ذلك هو شيء لم يقل في الكتيب ، بل كان ضمنا اساس كل ما قاله بنسكر : تجريد المشكلة اليهودية عن شكلها الديني واعتبارها مشكلة سياسية

---

٢٧ ـ مثالا على ذلك ، زادت الجالية اليهودية في فينه من بضع مئات في منتصف القرن التاسع عشر الى ١٧٦،٠٠٠ في اول هذا القرن .

٢٨ ـ ليون ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٧ . راجع ايضا هرتزل في « الدولة اليهودية » .

واجتماعية (٢٩) .

اما الرجل الذي نظر الى المسألة اليهودية من الناحية السياسية ، وخطط لحلها السياسي ببراعة وحنكة فهو **تيودور هرتزل (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤)** . ومثل بنسكر ، كان هرتزل اوروبيا مندمجا في مجتمعه ، الا انه تحول للصهيونية في العام ١٨٩٤ عقب قضية درايفوس التي اكدت له بان المسألة اليهودية لم تحل بعد . وكتب هرتزل على اثر هذه القضية كتيبا بعنوان « الدولة اليهودية » اعلن فيه بان الحل الوحيد للمشكلة اليهودية يقوم على انشاء دولة يهودية في مكان ما ، دولة قائمة على الثقافة اليهودية واللغة العبرية ، فبتحرير اليهود من عبودية المنفى ، فان العالم « سيتحرر بحريتنا ، وسيثرى بثرائنا ، وسيتجلى بعظمتنا » (٣٠) .

هذا الارتباط مع الاغيار (اي غير اليهود) المشار اليه في الجملة السابقة كان حجر الاساس في برنامج عمل هرتزل السياسي ، لاعتقاده بان الاغيار سيساعدون اليهود على الاستيطان لان ذلك من مصلحتهم . فهناك رغبة الاغيار بالتخلص من اليهود ، وقوة اليهود المالية التي تشكل ضغطا على من لا يساعدهم . كمثل على ذلك وعد هرتزل السلطان العثماني بتخليصه من الديون التي اخذها من كبار المولين اليهود مقابل اعطائهم حق الاستيطان في فلسطين ، كذلك زار هرتزل وزير الداخلية في روسيه القيصرية فون بلهفه Von Plehve المعروف بعدائه الشديد للسامية ووعده بتخليصه من اليهود الروس الذين انجذبوا الى الحركات

---

٢٩ ـ بالفعل ، رأس بنسكر منظمة « محبي صهيون » التي اسست بضع مستعمرات في فلسطين .

٣٠ ـ هرتزل : الدولة اليهودية ، في هرتزبرغ ، ص ٢٢٦ .

الثورية ان هو ساعده دبلوماسيا (٢١) . وان هـذا العمل الدبلوماسي ينم عن فهم للطبيعة السياسية للمسألة اليهودية ولاهمية دور الدول الكبرى في حلها .

كان هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية العالمية ، وذلك في المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقـد في بازل في آب (اغسطس) ١٨٩٧ ، وكانت مقررات هذا المؤتمر (برنامج بازل) شبيهة جدا للبرنامج الذي دعا هرتزل الى اتباعه في كتيبه . يقول برنامج بازل « ان الصهيونية تناضل من اجل انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين تحت حماية القانون العام ، وان المؤتمر يقترح النقاط التالية للوصول الى الهدف:

١ – تعزيز استيطـان المزارعين والحرفيين والصناع اليهود في فلسطين ، وذلك بالوسائل الملائمة .
٢ – تنظيم وتوحيد كل اليهود عن طريـق المؤسسات الملائمة ، محلية او دولية ، وتبعا لقوانين كل دولة.
٣ – تقوية ودعم الشعور القومي اليهودي والوعي القومي.
٤ – انماء خطوات تمهيدية لاجل اكتساب التأييد من قبل الحكومات المختلفة من اجل الهدف الصهيوني كلما كان ذلك ضروريا » (٣٢) .

نرى من هذا البرنامج ان التأكيد كان على حماية « القانون العام » ، ومن البند الرابع ، بان العامل الدبلوماسي العالمي كان ذا اهمية كبرى ، في تقديرهم الاولي . وقد بقي هذا الاعتماد من اهم العوامل في الصهيونية حتى يومنا هذا ، وان

٣١ – هرتزل : المذكرات الكاملة ، الجزء الرابع ، ص ١٤٩٣ وفي اماكن متفرقة .
٣٢ – ناحوم سوكولوف : تاريخ الصهيونية ، ١٦٠٠ – ١٩١٨ ، الجزء الاول ، ص ٢٦٨ .

المصلحة التي رآها هرتزل عند الاغيار لمساعدة الصهيونية هي مصالح الاغيار الاوروبيين الاستعمارية في المنطقة .

انه من الجدير بالذكر ان احاد هاعام ، مناوىء هرتزل ومؤسس الصهيونية الثقافية التي دعت الى جعل فلسطين مركزا روحيا واخلاقيا ليهود العالم ، قد تنبأ في المؤتمر الصهيوني الاول ، « ان الهدف السياسي الصادر من خارج حضارتنا القومية سيبعدنا عن ولائنا لروحنا الداخلية ، وسيضعنا في وضع نسر به بقوتنا المادية والسياسية » ، كما قال بان وضع فلسطين الجغرافي « سيمنع عنا صفة الدولة العادية ، لاننا سنكون في معترك سياسةالدول الكبرى» (٣٣). ولكن هرتزل لم ينقذ اليهودية ، بل انقذ بقايا التأخر اليهودي ونتيجة تعصب المجتمع البورجوازي في الغرب . وبقي برنامج بازل البرنامج الرئيسي للعمل الصهيوني حتى يومنا هذا .

٣٣ ــ احاد هاعام ، في هرتزبرغ ، ص ٢٦٤ .

الفصل الثاني

اليهـود في شرق اوروبـه
وبداية الحركات اليسارية الصهيونية

اليهود في شرق اوروبه

في العام ١٨١٨ ، كانت الجالية اليهوديـة في شرق اوروبه تتألف من ٦٨،٥ ٪ من التجـار ، ١١،٦ ٪ من الحرفيين و ١،٩ ٪ من المزارعين (١) . وكان معظـم هؤلاء التجار من المرابين ومن الوسطاءبين اسياد الارض وفلاحيها ، وكان غناهم فاحشا (٢) . ولكن بتقدم الرأسمالية اهتزت الارض بحياتهم المريحة والآمنة هذه ، فقد بزغت طبقة تجارية محلية ، كما في الغرب قبل سبعة قرون ، نافست التجـار اليهود وبفضل اعتمادها على الانتاج مباشرة ، قضت عليهم . كما ان بداية نمط الانتاج الصناعي الرأسمالي قضى على الاهمية الاقتصادية لمراكز تجمع اليهود ـ مدن التجارة في القرون الوسطى ـ واستبدلها بمدن صناعية جديدة .

كل هذا ادى الى موجة كبيرة منهجرة اليهود الىاوروبه الغربية ، وفي الوقت نفسه ، ادّى الى تحول التجار اليهود الى بروليتاريين ونزوحهم الى المدن الصناعية الجديدة بحثـا

---

١ ـ ليون ، المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

٢ ـ لضباط نابليون تقارير مهمة تصف وضع اليهود هناك. راجع المصدر السابق ، ص ١٥٨ وما بعدها .

عن العمل . فقد ازداد عدد اليهود في مدينة لودز الصناعية من ٧٧٥ر٢ عام ١٨٥٦ الى ٧٠٠ر٩٨ عام ١٨٩٧ ، وفي فيلنه ومنسك من ٧٠٠٠ و ٢٧٠٠ حوالي العام ١٨٠٠ الى ٠٠٠ر٦٤ و ٦٠٠ر٤٧ في العام ١٨٩٧ على التوالي . بالاضافة الى ازدياد تركز اليهودي في المدن عن طريق الهجرة، فقد كانت زيادة عدد اليهود بين العامين ١٨٤٤–١٩١٣ بنسبة ٨٤٤ ٪ ، بينما كانت زيادة غير اليهود في الفترة نفسها ٢٦٥ ٪ (٣) .

وكان من اسباب هذه الهجرة ، بالاضافة الى الاسباب سالفة الذكر ، محاولة الحكم القيصري القضاء على اليهود ، وكما قال بوبييدونوستسف Pobyedonostsev مستشار القيصر اسكندر الثالث ، « ان ثلث يهود روسيه سيعتنق المسيحية ، والثلث الآخر سيهاجر ، اما الثلث الباقي ، فسيباد » (٤) . فمن اجل ابقاء اليهود مركزين في المدن ومن اجل العمل على نزوح اليهود الريفيين ، اصدرت الحكومات القيصرية قرارات تمنع اليهود من الاقامة خارج مناطق جغرافية معينة (التي كانت حدود المدن الصناعية) ، وقد طبق هذا القانون بحرفيته ، كما منعت هذه الحكومات اليهود من شراء الاراضي الزراعية او بيعها . وكان القانون الاكثر تأثيرا هو القرار بتأميم تجارة الخمور . فبعد ان كان معظم اليهود الريفيين من تجار الخمور ومن اصحاب الحانات ، اصدرت الحكومة قرارا بتأميم تجارة الخمور وبفتح خمارات حكومية تدعى « الخمارات الامبراطورية » لتأخذ مكان خمارات اليهود هذه (٥) .

---

٣ – سالوبارون : اليهودي الروسي في العهدين القيصري والسوفياتي ، ص ٧٦ وما بعدها .
٤ – ميخائيل بارزوهار : النبي المسلح ، ص ٥ .
٥ – سيمون دوبنو : تاريخ اليهود في روسيه وبولنده ، الجزء الثالث ، الفصل الثاني .

كل ما سبق حصل بسرعة فائقة ، وخلق مشكلة يهودية ضخمة في هذه المدن . فقد كان العمال غير اليهود ينظرون للعامل اليهودي نظرة عدائية لكونه منافسا في العمل ولكونه يهوديا . ثم خلق هذا التجمع مشكلة بطالة ، حيث انه في العام ١٨٩٧ مثلا، كان اكثر من ٥٠ ٪ من يهود اوروبه الشرقية بدون عمل محدد (٦) . بالاضافة الى العداء للسامية الناتج عن المنافسة الاقتصادية ، كان هناك العداء للسامية الذي نمتّه الحكومات القيصرية وعملت على تشديده بشتى الوسائل (٧) ، وذلك في سبيل تحويل انظار عامة الناس عن مشاكلهم الحقيقية والانخراط في الحركات الثورية . ومثالا على ذلك هو اختلاق « تهمة دم » تبعها تحضير مرتب ادى الى مذبحة كيشينيف عام ١٩٠٣ التي قتل فيها عدد كبير من اليهود وخربت الكثير من ممتلكاتهم (٨) . وكانت عامة الشعب في كثير من الاحيان على استعداد لقتل بعض اليهود ، وذلك لقصر عهدهم بهم كمرابين مستغلين .

كل هذا وضع اليهود في موقف متناقض — فقد استأصلتهم الرأسمالية من جذورهم وركزتهم في المدن كعمال بروليتاريين وبذلك عملت على تسهيل اندماجهم العملي ، وبالتالي ، الحضاري ، ومن جهة اخرى ، ركزتهم في المدن وعطلتهم عن العمل ثم عملت على اضطهادهم ، مما ساعد على نشوء القومية اليهودية . والصهيونية هنا ناتجة عن فقدان اليهودي البورجوازي الصغير هويته من جراء فقدان وظيفته الاجتماعية ، وعدم قدرته على استيعاب وضعه الجديد لانه

٦ ـ المصدر السابق ، ص ٢٤ .
٧ ـ جدير بالذكر انه في هذه الفترة وفي هذا الجو نشرت « بروتوكولات حكماء صهيون » .
٨ ـ دوبنو ، المصدر نفسه ، ص ٦٦ وما بعدها .

اتى بسرعة فائقة ولم يعط الوقت الكافي ليقوم بالتكيف الايديولوجي الضروري لاستيعاب هذا الموقف . فالصهيونية، اذن ، بمحاولتها استرجاع هوية اليهودي المفقودة ، انما هي حركة رجعية من شأنها ان تشوش الحاضر الجديد ، بدلا ان يكون هذا التجديد حافزا على اعادة النظر في وضع اليهود بشكل جذري .

الصهيونية والاشتراكية

كما رأينا ، كان لتحويل اليهود الى بروليتاريين نتيجتان متناقضتان : من جهة ، كانوا كبروليتاريين يحسون بمشاكل البروليتاريا كطبقة اجتماعية في علاقتها مع الطبقات الاخرى، وبذلك الشكل اتجهوا نحو الاشتراكية ، ومن الجهة الاخرى كونهم يهودا ينافسون الاغيار على العمل ادى الى عداء هؤلاء للسامية وبالتالي الى الانفصال والانعزال تحت لواء القومية اليهودية ، هذا الانعزال الذي يعاكس الروح الاندماجية المتمثلة في الاشتراكية ، ومن هنا المنافسة الشديدة بين الحركات الاشتراكية التي ادخلت عناصر قومية الى ايديولوجيتها في سبيل اجتذاب العمال اليهود ، والحركات الصهيونية التي ادخلت العناصر الاشتراكية في برامجها لتشبع الرغبات والميول الاشتراكية الموجودة لدى اليهود .

كما رأينا قبلا ، كان معظم اليهود في اوروبه الشرقية في اواخر القرن الماضي متمركزين في بعض المدن الصناعية الجديدة كفيلنه وبياليستوك ، وكانت هذه المدن مهد الحركات العمالية الاشتراكية التي كانت في البدء اضرابات محدودة ، وكان البعض منها عفويا غير منظم والبعض الآخر منظما من قبل التجمعات الآنية للعمال اليهود (٩) . هذا في الستينات

٩ ــ ساخار ، المصدر نفسه ، ص ٢٨٩ .

والسبعينات. ولكن في هذه الاضطرابات، على حد قول بوروشوف، « كانت الايديولوجية الاشتراكية والصراع الاقتصادي في عوالم مختلفة » (١٠) اي ان هذه الاضرابات كانت في سبيل مطالب اقتصادية آنية ومحدودة، كزيادة المعاشات وتحسين احوال العمل وما الى ذلك من مطالب غير منسّقة. فلم يكن هؤلاء العمال قد ادركوا وضعهم الاجتماعي الادراك الاشتراكي، بل كانوا يحاولون تحسين احوالهم بدون معالجتها من جذورها. وفي خلال الثمانينات، توسّعت هذه الحركات واصبحت احسن تنظيما مما كانت عليه قبلا، حتى كان بامكانها ان تدعو الى اضراب عام في بياليستوك في العام ١٨٨٧، وان تنشىء اول صندوق لتمويل الاضرابات في مدينة فيلنه في السنة نفسها (١١). وكانت هذه الحركات وبداية الاتصالات بينها بمثابة فترة تحضيرية سبقت وحتمت ظهور منظمة او منظمات كبيرة تضم عددا من المناطق والمدن، ذلك مع ازدياد الوعي الاشتراكي ورفض التراث اليهودي وازدياد ادراك ضرورة التغييرات الجذرية في سبيل حل المشاكل الاجتماعية.

« البند »

عبّر عن الجانب الاشتراكي من المطالب اليهودية في رغبة بعض هذه المنظمات، التي كانت ترفض اليهودية كليا، في الاتحاد، وبعد قيام اركادي كريمر (١٨٦٥ ــ ١٩٣٥) ورفاقه من فيلنه بتوعية العمال توعية اشتراكية ماركسية وبنشر الدعاية السياسية من وجهة النظر هذه. فقد اجتمع مندوبون عن عدد من هذه المنظمات بسرية تامة في مدينة فيلنه

---

١٠ ــ بوروشوف : مقالات مختارة حول الاشتراكية الصهيونية، ص ١٧.

١١ ــ المصدر السابق، ص ١٨.

في ايلول (سبتمبر) ١٨٩٧ ، واسسوا « عصبة العمال اليهود في لتوانيه ، بولنده وروسيه» التي عرفت باسم البند Bund (العصبة) (١٢) . واعلن احد مقررات هذا المؤتمر أن «الاتحاد العام لكل المنظمات الاشتراكية اليهودية يعلن بان هدفه ليس العمل على تحقيق المطالب السياسية الروسية العامة فحسب، بل سيعمل بشكل خاص على الدفاع عن المصالح المحددة الخاصة للعمال اليهود ، وعلى الاهتمام بحقوقهم المدنية وعلى محاربة قوانين التفرقة المعادية لهم . هذا لأن العامل اليهودي لا يعاني من وضعه كعامل فحسب ، بل من وضعه كيهودي » (١٣) . كما اعلنت التزامها بالمبادىء الماركسية .

هذا الالتزام بالماركسية نبع من متطلبات العامل اليهودي الجديدة الناتجة عن وضعه الاجتماعي الجديد . بيد ان المادة المؤكدة على « المصالح المحددة الخاصة لليهود » ترينا بوضوح بان « البند » ، بالرغم من تخليها عن الصهيونية ونبذها لها ، كانت منذ البداية قد اعترفت بانه يجب النضال على جبهتين ـ الاشتراكية واليهودية المحضة ـ ويتساءل المرء عن السبب الذي دعا « البند » الى اعتماد هاتين الجبهتين مع علمها ، كمنظمة ماركسية ، ان حل المشكلة اليهودية الخاص مستحيل وان حلها لا يتم الا بالتغيير الجذري للنظام الاقتصادي والاجتماعي الذي جعل وجود هذه المشكلة ممكنا . والجواب يكمن في ان هؤلاء الماركسيين ، بغض النظر عن ادراكهم العقلي بوجوب الاستغناء عن اليهودية ، لم يتمكنوا من نبذ الشعور بالانعزال الذي كان نتيجة قرون طويلة من الانعزال ، وهذا طبيعي .

وعلى الصعيد العملي ، يصبح السؤال المذكور اعلاه

---

١٢ ــ دوبنو ، المصدر نفسه ، ص ٥٦ .
١٣ ــ عن بارون ، المصدر نفسه ، ص ١٧٠

« لماذا تشكيل حركة يهودية صرفة ، مع ان مصير العامل اليهودي مرتبط بمصير رفيقه الروسي ؟ » اجاب على هذا السؤال جوليوس مارتوف (الذي ترك البند واصبح فيما بعد من زعماء المنشفيك) بقوله انه لو اضطرت البروليتاريا الروسية ان تضحي بأي من مطالبها ، فانها ستضحي « بالمطاليب التي تخص اليهود وحدهم ، كحرية الدين والمساواة في الحقوق المدنية » (١٤) . وهنا ايضا نرى محاولة العمل اليهودي بمعزل عن العمل الماركسي ، او بتحديد اكثر ، بجانب العمل الماركسي وكشيء مختلف عنه بعض الشيء ، وكذلك نرى عدم جدوى هذا العمل لان تحرير اليهود مرتبط بتحرير غير اليهود، كما ان «البند» ، برفضها التراث اليهودي ومفهوم اليهودية ، ولكن في الوقت نفسه ، بتشديدها على « المصالح الخاصة » لليهود انما تعبّر عن التناقض في وضع اليهود الاجتماعي ، وان كانت كفة الميزان هنا في صالح الاشتراكية وعلى حساب القومية اليهودية .

ففي البداية ، استعملت « البند » اللغة الروسية في دعايتها السياسية وفي اجتماعاتها ، ولكنها اضطرت الى ابدالها باليديشية Yiddish وذلك لعدم فهم معظم اليهود للروسية وبسبب التأثير المتزايد للدعاية الصهيونية ، التي تستعمل اليديشية (١٥) . كما ان مؤتمر « البند » العام ١٨٩٩ قرر اعتبار القومية اليهودية شيئا غير وارد واعتبر ان العمل اليهودي « الخاص » يجب أن يحد بمحاربة القوانين التفريقية ، ذلك ان الوعي القومي من شأنه ان « يقلل الوعي الطبقي عند

---

١٤ ـ ليونارد شابيرو : الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، ص ٢٤ .

١٥ ـ المصدر السابق ، ص ٢٢ .

البروليتاريا اليهودية وان يؤدي الى الشوفينية » (١٦) ، هذا بعد انضمام البند الى الحزب الديموقراطي الاشتراكي الروسي، وتقرير مؤتمر هذا الحزب للعام ١٨٩٨ اعطاء « البند » الصلاحية التامة في معالجة الامور المحض يهودية (١٧) .

كان هذا في البداية . ولكن ، مع مر الزمن ومع ضغط الدعاية الصهيونية التي كانت تلبي الميول القومية عند العامل اليهودي ، ومع اضطهاد اليهود ، اصبح العامل القومي داخل « البند » يتقوى على حساب العامل الاشتراكي ، وبكلمة اخرى ، كانت ذهنية القرون الوسطى تربح على حساب الذهنية البروليتارية الاشتراكية . وبذلك لم تتمكن « البند » من البت في امر المشكلة اليهودية وتصفيتها بسبب بقايا الذهنية القديمة التي لم يتمكن اعضاء العصبة من تخطيها ، اي انهم لم يتمكنوا من الرفض التام لفكرة القومية اليهودية التي منعتهم من تناسيها والاندماج التام في محيطهم .

هذا الانشغال الزائد بالمشاكل اليهودية جعل مؤتمر « البند » للعام ١٩٠١ يقر بوجود القومية اليهودية بعد أن كان قد رفض الاعتراف بها في وقت سابق ، كما قدمت « البند » اقتراحا في مؤتمر الحزب الاشتراكي الديموقراطي الروسي (بيلوستوك ١٩٠٣) بالاعتراف بالقومية اليهودية وبالمطالبة بالاستقلال الذاتي لليهود داخل روسيه ، ولكن هذا الاقتراح رفض باغلبية ٤١ صوتا مقابل خمسة اصوات انسحبت البند على اثره من المؤتمر (١٨) ، مما دعا لينين للكتابة في « اسكرا » مجلة الحزب بان فكرة القومية اليهودية التي تقول بها «البند» وتدعو اليها « فكرة خاطئة علميا ، ورجعية سياسيا ...

١٦ ــ دافيدوفتز ، المصدر نفسه ، ص ٦٠ .
١٧ ــ شابيرو ، المصدر نفسه ، ص ٣٠ .
١٨ ــ دوبنو ، المصدر نفسه ، ص ٥٧

ولكن « البند » ، تعارض الحل الوحيد (الاندماج) ، فهي لا تساعد انهاء الانعزال اليهودي بل انها تحاول مساعدته وتنميته، وذلك باعتماد فكرة القومية اليهودية والدعوة اليها » (١٩) . وهنا نرى مرحلة ثانية في تغلب ذهنية القرون الوسطى وما اتت به من مفهوم للقومية اليهودية ، على الذهنية الاشتراكية، ووصلت هذه الذهنية الى اوجها في مؤتمر « البند » للعام ١٩٠٥ ، حيث دعا زعيم «البند» آنذاك فلاديمير مدم Medem (١٨٧٩ – ١٩٢٣) الى المطالبة بالحكم الذاتي من الناحيتين، القومية والحضارية، فقال « لنسلب سلطة الدولة من المجالات الثقافية ... ولنسلم هذه السلطة للقوم نفسه » (٢٠) . او ليست هذه قومية الغالوت (٢١) بشكل اشتراكي ؟

و « البند » حركة لم ينتج عنها شيء ذلك لانه كان في داخلها قطبان متناقضان – القومية اليهودية والاشتراكية الاممية – ولم ينجح اي من الطرفين بالتغلب على الآخر ، فان « البند » ابتدأت بكونها حركة اشتراكية دخلت عليها العناصر القومية خلال تطورها ، وحوت هذين القطبين المتناقضين والمتماثلين في القوة ، مما شلها عن العمل . فلو ان احد هذين القطبين قد تغلب على الآخر ، لكانت قد نشطت بشكل فعال في الناحية المتغلبة . اما ما يمكن استخلاصه من «البند»، فهو انها تبين التناقض الموجود بين وضع العامل اليهودي

---

١٩ – لينين : المؤلفات الكاملة ، الجزء السابع ، ص ١٠٠ – ١٠١ .

٢٠ – شابيرو ، المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

٢١ – قومية الغالوت (الغالوت هو « المنفى ») دعا اليها المؤرخ اليهودي سيمون دوبنو ، وكانت تعتمد على بقاء اليهود في اوروبه وبشكل جاليات تتمتع بالاستقلال الثقافي والحضاري .

الجديد ، كبروليتاري ، وعقليته البورجوازية الصغيرة ، وان حل المشكلة اليهودية ، ان عن طريق الاشتراكية او عن طريق القومية ، يستوجب تغلب احد هذين العاملين على الآخر ، اي ان الحل يوجد اما عن طريق الشيوعية المعادية للقومية ، واما عن طريق الصهيونية المعادية للشيوعية .

نخمان سيركن

يعتبر نخمان سيركن « الأب الروحي » للصهيونية الاشتراكية (٢٢) . ولد في موهيليف في روسيه عام ١٨٦٧ في اسرة محافظة ومتدينة ، تلقى دراسة ابتدائية يهودية تقليدية في مسقط رأسه الا انه تمكن من تلقي دراسة ثانوية علمانية . بعد فترة قصيرة من السجن لاشتراكه مع بعض الحركات الاشتراكية السرية ، ذهب الى برلين لمتابعة دراسته الجامعية ، واصبح صهيونيا بعد تأثره بكتابات موسى هسّ واحاد هاعام (٢٣) ، ثم وضع مؤلفه الرئيسي « المسألة اليهودية

---

٢٢ ـ بوروشوف ، المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

٢٣ ـ موسى هسّ (١٨١٢ ـ ١٨٧٥) يهودي الماني بدأ حياته اشتراكيا من اعوان ماركس ، الا انه تحول الى الصهيونية . نشر كتابه الشهير « رومه والقدس » في العام ١٨٦١ قال فيه بان القومية اليهودية هي اسمى تعبير عن المحبة الانسانية ، ومن هنا « الصهيونية الاخلاقية » . احاد هاعام (١٨٥٦ ـ ١٩٢٧) قال بان على الصهيونية ان تعتمد على التراث الحضاري اليهودي وان تجعل فلسطين قدوة اخلاقية للعالم . اسس الجمعية السرية « بني موسى » التي قامت بتأسيس بعض المستعمرات في فلسطين على اسس تعاليم احاد هاعام .

والدولة الاشتراكية اليهودية » .

يبدأ سيركن كتابه بمحاولة لتحليل التاريخ اليهودي في سبيل تعليل بقاء اليهود . وهنا يسير سيركن على خطى غيره من الصهيونيين دارسي تاريخ اليهود ـ فهو يعلل بقاء اليهود (وهو يتبع هس كثيرا في هذه الناحية) على انه نابع من ارادة اليهود القوية والجبارة في البقاء ، فهم رفضوا العالم بمحض ارادتهم الاخلاقية السامية ، ثم يقول « ومع رفض العالم ، كان لليهود نبل يتخطى العالم ، نبل مستمد من المعاناة ، يغذيه الامل في الخلاص ، وهنا تكمن القوة الرئيسية التي عملت على استمرار الحياة في الغيتو » (٢٤) .

ثم ينتقل الى الحديث عن اليهود في القرن التاسع عشر ، حيث يقول بأن تحرر اليهود بعد الثورة الفرنسية وضمن مبادىء الثورة الفرنسية لم يكن تحررا فعليا بل كان وهما لا بد ان ينكشف . وهنا يأتي ببعض اسباب العداء للسامية الجديرة بالاهتمام . فيقول بان الطبقات المسيطرة تشجع العداء للسامية لان في ذلك اشغالا لعامة الشعب عن مشاكلها الاساسية وتحويلا للصراع الطبقي الى صراع قومي . ثم ان البورجوازي هذا يرى في المرابي اليهودي اكره ما في نفسه هو ، وهذا يجعله يكره اليهودي . اما الطبقات الوسطى ، فهي بحكم الطبيعة تأخذ كل آراء البورجوازية الكبيرة بشكل متطرف وذلك بمحاولتها التبرجز ، كما ان التاجر اليهودي المتوسط يشكل منافسا للتاجر غير اليهودي ، وهذا ما يضع غير اليهودي في خطر التحول الى بروليتاري ويسير بالحركة الاجتماعية الى اسفل بدلا من الى اعلى ـ وهذه اكبر مصيبة

---

٢٤ ـ سيركن : المسألة اليهودية والدولة الاشتراكية اليهودية . (هرتزبرغ ، المصدر السابق ، ص ٣٣٥) .

يمكن ان تحل بالمنتمي الى الطبقة الوسطى .

كل هذا نابع من التوزيع غير العادل للسلطة السياسية ، والتوزيع العادل لا يمكن ان يتم الا في ظل دولة اشتراكية . فالصهيونية ، اذن ، يجب ان ترتكز على المساواة وعلى مبادىء اليهودية التي تعبّر عن الاخلاق الاشتراكية افضل واسمى تعبير ، وبالتالي يجب الحفاظ على اليهودية وعلى الانعزال اليهودي ، لان الاندماج هو الدّ اعداء الاشتراكية ، فالاندماج تفسخ لليهودية واحد شارات هبوط الروح المعنوية الاشتراكية. كل ذلك بالرغم من ان هدف الاستنارة البعيد المدى ـ اخوة الانسان ـ هو الهدف الذي يسير اليه التاريخ، بيد ان القومية مقولة تاريخية ضرورية ، فهي احدى الحلقات في الطريق الى الهدف البعيد هذا . والقومية اليهودية ، المبنية على « الاحساس بالوحدة التاريخية» لا على اللغة او التاريخ العقلي او الارض ، ان ارادت ان ترتفع وان تعترض على المجتمع « اعتراضا اخلاقيا حقيقيا » (٢٥) ، عليها ان تعلن بأن الاعتراض اليهودي هو هدفها الاساسي .

لن احاول ان ابرهن على عدم ارتباط او وضوح او منطقية ما سبق لان هذه عملية طويلة ومملة وبدون اية فائدة . الا انه من الضروري معاينة بعض الافكار الرئيسية فيها للتوصل الى فهم احسن لمركز كل من الاشتراكية والصهيونية وعلاقتهما ببعض ، وبذلك نفهم اساس فكر سيركن .

لا شك بان دراسة وجهة نظر الصهيونيين الاشتراكيين الى مسألة الاندماج ذات اهمية كبرى ، ذلك ان وجهة نظر سيركن من مسألة الاندماج هذه تكوّن صلب اجابة الصهيونيين على السؤال « لم الصهيونية » . بدون اي استثناء ، لا نجد

---

٢٥ ـ المصدر السابق ، ص ٣٤١

جوابا على هذا السؤال يتعدى نطاق القول ان الاندماج يشكل انتحارا قوميا ، على حد قول سيركن (٢٦) ، وكأن القومية هبة سماوية ابدية معطاة للشعوب . ولكن بالفعل ، هذا الجواب لا يمثل اجابة بقدر ما يمثل عجزا عن الاجابة، فقد تحجرت فكرة القومية لحظة اعطائها هذه الصفة المطلقة واصبحت فكرة غير قابلة للتفكير ، وان التحجر الفكري هذا انما يعبّر عن قرون من الانعزال اليهودي ، الشيء الذي جعل فكرة القومية فكرة مسبقة لا عقلية ولا شعورية وجب الحديث عنها والاقتداء بها لعدم استيعاب الحاضر وصبغه بصباغ الماضي وبالتالي تشويهه.

والاشتراكية هنا ليست الا القالب الآني الذي صيغت فيه الصهيونية ــ فالاشتراكية جزء من روح العصر واحدى متطلبات العامل اليهودي ، وبالتالي فلا بد من ادخالها داخل هذا القالب الصهيوني الاساسي . ثم ان هذه الاشتراكية التي يدعو سيركن اليها ، ما هي ؟ انها « التوزيع العادل للسلطة السياسية » ، ولكن باي شكل ؟ انها « الروح اليهودية » ولكن ما هي هذه الروح السحرية التي تسلب الالباب لدرجة عدم فهمها وعدم محاولة فهمها ؟ وما الروح اليهودية الا العقلية التجارية التي افرغت من محتواها ؟ لا شك في ان سيركن لم يفكر في المواضيع هذه ، وان كل ما فعله هو انه وضع افكاره المسبقة واحاسيسه في شكل مفاهيم ضبابية فارغة من اي معنى تاريخي .

ولا بد ، قبل ان ننهي حديثنا القصير عن سيركن ، من ان نلفت النظر الى نقطة يثيرها سيركن والكثير من الصهيونيين، وهي ان القومية اليهودية ككل القوميات الاوروبية ضرورية في احدى مراحل التاريخ من اجل التاريخ . وفي ذلك القول

---

٢٦ ــ المصدر السابق ، ص ٣٤٣ .

خطأ مساواة القومية اليهودية بالقوميات الاوروبية . فان القوميات الاوروبية كانت من ضرورات ازدهار وتقوية النظام الرأسمالي وتعد من متطلباته ، بينما القومية اليهودية هي من لفظاته (بفتح الفاء) .

الفصل الثالث

حركة عمال صهيون

التأسيس

رأينا في الفصل الماضي كيف انه كانت هناك حركتـان تحاولان استقطاب العمال اليهود ـ الصهيونية والماركسية ـ وكيف ان تفاقم العامل اليهودي الصرف وتقويته في داخـل «البند» الماركسية ادى الى تناسيها اشتراكيتها بعض الشيء ، ورأينا كيف ان شلل « البند » العملي انما هو متأت عن ضبط كل من هذين القطبين بعضهما لبعض وبالتالي تجمدهما العملي. الا ان « البند » كانت تشكل ، بالاضافـة للحزب الاشتراكي الديموقراطي ، الجانب الاشتراكي في عمليـة الاستقطاب هذه . من الناحية الاخرى ، اضطرت الصهيونية الدعوة الى الاشتراكية الماركسية وذلك لان العامل اليهودي لم يكن يهوديا فحسب ، بل كان عاملا بروليتاريا يشعر بالمشكلات العماليـة والمطالب التي تتأتى عنها . وحركة « عمال صهيون » هـي الحركة التي بدأت صهيونية وماركسية في وقت واحد .

مثل « البند » ، بدأت حركة « عمال صهيون » كحركات صغيرة محدودة جغرافيا تقـوم على نشر الدعاوة السياسية والتوعية الاشتراكية والصهيونية، وكانت منذ البداية تستعمل اللغة اليديشية في دعاويها واجتماعاتها وتدعو الى احياء اللغة العبرية . نظمت اول مجموعة تحت اسم « عمال صهيون »

(Poalei Zion) في مدينة منسك عام ١٨٩٧ (١) ، كما اسست في الوقت نفسه منظمات اخرى ، اهمها حركة «الاشتراكيون الصهيونيون » التي اسسها نخمان سيركن في العام ١٩٠١ . بيد ان المنظمة الام التي اصبحت فيما بعد حزب عمال صهيون تأسست في يكاتيرينوسلاف في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٠ تحت زعامة سيمون دوبين ، ثم دخل بوروشوف هذه الحركة واصبح اسمها « اتحاد العمل الصهيوني الاشتراكي ». وكانت اولى نشاطاتها تنظيم فرقة مسلحة للدفاع عن مدينة بساخ خلال المذبحة هناك عام ١٩٠١ ، ثم تنظيم اضراب عمال الخياطة (٢) . وكانت هناك حركات كثيرة اخرى من نفس النوع ، وقد اجتمعت هذه الحركات في اوديسه في كانون الثاني (يناير) ١٩٠٥ واسست حزب « عمال صهيون » ، الذي جاء كنتيجة لضرورة توحيد هذه الحركات الاشتراكية الصهيونية التي شعرت انها باتحادها ، انما ستتمكن من العمل على الوصول لاهدافها المشتركة . وكان اول عمل خارجي لحزب « عمال صهيون » هو الانضمام للمنظمة الصهيونية العالمية .

على اثر عرض بريطانيه بتقديم اوغانده للمنظمة الصهيونية العالمية في العام ١٩٠٢ من اجل توطين اليهود فيها ، حدث انشقاق داخل المنظمة الصهيونية العالمية حول قبول او عدم قبول هذا العرض ، والشيء الذي يوضحه هذا الانشقاق هو فصل الصهيونيين الاكثر عاطفية ورجعية عن الاقل منهم عاطفية ورجعية ، فالقسم الاول لم يقبل التنازل عن المطالبة بفلسطين لانها « الارض الموعودة » ، بينما لم ير الفريق الآخر ومن بينهم هرتزل مانعا من اقامة الدولة اليهودية في اي مكان

١ — س. لفنبرغ : اليهود وفلسطين ، ص ١٠٨ .
٢ — بوروشوف ، المصدر السابق ، ص ٢٠ — ٢١ .

من العالم . وكان لا بد من ان تمتد هذه الخلافات الى داخل الحركة الاشتراكية الصهيونية في اوروبه الشرقية . ففي المؤتمر التأسيسي السالف الذكر ، قدم اقتراح برفض عرض بريطانيه وانتهى التصويت بتبني المؤتمر لهذا الاقتراح . وعلى اثر هذا ، انسحب سيركن وجماعته من المؤتمر واعلنوا بانه ، اي المؤتمر ، قد تصرف بعاطفية شديدة وانه قد فوت على نفسه فرصة ذهبية لمباشرة العمل الصهيوني لبناء الوطن القومي اليهودي . كما حدث انشقاق ثان في المؤتمر الثاني للحزب في كييف وفي تموز (يوليو) من العام نفسه ، انسحب على اثره السيميون (نسبة الى السيم ، او الاقليم اليهودي المستقل في داخل دول التشتت) وطالبوا بالحكم الذاتي في التشتت (٣).

مباشرة بعد الخلاف هذا وانسحاب السيميين من المؤتمر ، عقد كل من هؤلاء وجماعة بوروشوف مؤتمرات خاصة في كل من كييف وبولتافا على التوالي ، واسس السيميون « حزب العمال اليهودي الاشتراكي » ، بينما اسس بوروشوف بمساعدة اسحق بن زفي (الذي اصبح فيما بعد رئيسا للدولة في اسرائيل) ، « حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي الروسي – عمال صهيون » ، كما قرر هذا المؤتمر المباشرة بالعمل لتأسيس « الاتحاد العالمي لعمال صهيون » . وفي خلال سنوات قليلة ، استطاع عمال صهيون القضاء على السيميين و « الاشتراكيين الصهيونيين » ، بعد ان كانوا في البداية اقل عددا » (٤) . ولا عجب اذ لم يقدم السيميون شيئا للعامل اليهودي اكثر مما قدمت « البند » بعد انفصالها عن الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، وضعف السيميين يذكرنا بنقاط ضعف « البند » . ثم ان سيركن لم يقدم الصهيونية

٣ – دوبنو ، المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .

٤ – بوروشوف ، المصدر نفسه ، ص ٢١ .

بالشكل الجذاب والعاطفي الذي قدمه « عمال صهيون » ، فقد رفض سيركن انتظار الحصول على فلسطين بينما دافع «عمال صهيون » عن انتظار الحصول عليها ، فهي لا تزال عاملا نفسيا قويا لدى اليهود . ثم ان اشتراكية « عمال صهيون » كانت اكثر وضوحا وتحديدا ، وللوهلة الاولى ، اكثر واقعية من اشتراكية سيركن السحرية الضبابية ، وبالتالي كانتاشتراكية « عمال صهيون » جذابة اكثر للناحية العمالية والبروليتارية عند العامل اليهودي .

الايديولوجية : بوروشوف

ان كان نخمان سيركن الاب الروحي للاشتراكية الصهيونية ، فان بوروشوف هو ابوها الفكري والتأسيسي . فان تأسيس « عمال صهيون » كان تحت زعامة بوروشوف ، كما انايديولوجيته تحوي كل النزعات المتأصلة فيالاشتراكية الصهيونية ، وتنم عن كل الاتجاهات التي آلت اليها الصهيونية الاشتراكيةفيما بعد، وعلى الصعيدين، العملي والايديولوجي. ان بوروشوف هو الوحيد بين الصهيونيين الذي حاول بجدية وبجهد فهم المسألة اليهودية ودرسها دراسة علمية ، والوحيد الذي حاول باخلاص ان ينظر الى موضوعه نظرة لا تشوبها شوائب مستمدة من افكار مسبقة . (والوحيد الذي حاول فهم الصهيونية لا مجرد تبريرها كما فعل غيره) . وسنرى فيما يلي انه بالرغم من اخلاصه ، قد فشل في هذا .

ولد بربوروشوف فيمدينة زولوتونوسكي في اوكرانيه في العام ١٨٨١ وترعرع في بولتافه ، التي كانت احدى المدن التي ينفى اليها الثوريون الروس . وهكذا ، ومنذ طفولته ، ترعرع بين تيارين فكريين ، التيار الصهيوني الذي استمده بوروشوف من والده الذي كان عضوا في جماعة « محبي صهيون » ، والتيار الاشتراكي الماركسي الذي كان يعم مدينة

بولتافه في ذلك الوقت . عمل بوروشوف كصحافي وباحث اجتماعي ورجل سياسة حتى وفاته من نزلة صدرية بينما كان مسافرا في برد روسيه القارس في العام ١٩١٧ (٥) .

كان التياران الفكريان المتلازمان في فكر بوروشوف ، كما قلنا ، هما الصهيونية والماركسية . ولا بد انه قد شعر بالتناقض الاساسي بينهما ، ولذا حاول ايجاد طريقة لدمج هاتين الفكرتين في وحدة عضوية متكاملة تلغي هذا التناقض. وكان العمل هذا يعني بالضرورة استئصال بعض المسائل والمكونات من احدى هاتين الفكرتين من اجل الغاء التناقض القائم بينهما . وبما ان التناقض اساسي، فان المسائل الواجب استئصالها لا بد وان تكون اساسية ، ولذلك فان واحدة من الاثنتين ـ الماركسية او الصهيونية ـ يجب ان تفقد مقوماتها الاساسية وبالتالي لن تبقى كما هي ، بل ستصبح تحريفا اساسيا للعقيدة الصحيحة . فان الفرق بين الماركسية والصهيونية ليس فرقا كلاميا فحسب ، بل هو فرق بين الذهنية العمالية المتقدمة وذهنية القرون الوسطى .

ان اول عملية استئصال قام بها بوروشوف هي محاولته تطبيق المنهج الماركسي على المسألة اليهودية . فكما قلنا ، كان لا بد من الانتقاء . وكما نعلم ، ان المنهج الماركسي مركب عضوي من المادية والتاريخية ـ المادية التاريخية ـ فكان اول خطأ وقع فيه بوروشوف هو تقسيم هذا المنهج تقسيما اعتباطيا الى منهجين مختلفين واتباع المنهج المادي بدون اتباع المنهج التاريخي . فهو يرى بوضوح وضع اليهود والسبب المباشر للمشكلة اليهودية من خلال اطار اقتصادي واجتماعي ـ ويعزو

٥ ـ هرتزبرغ ، المصدر نفسه ، ص ٣٥٣ .

هذا الوضع ، لوجود اليهود على هامش العمليات الانتاجية (٦) ـ التوزيع والتبادل ـ ولان ليس مهما الا نزر لا يستحق الذكر من العمل الانتاجي الاساسي، كالزراعة والصناعة مثلا. فوضع اليهود الاقتصادي، اذن، عكس الطبيعة. ان الشيء الطبيعي هو تجمع الناس بشكل هرمي حسب بعدهم او قربهم عن عمليات الانتاج الاساسية. اي ان تكون الاكثرية عاملة فعالة في العمليات الانتاجية الاساسية ، وكلما بعدت العمليات الاقتصادية عن هذه الوظائف الاساسية ، كلما قل عدد العاملين فيها ، وهكذا الى ان تصبح هرما . واليهود على العكس من هذا القانون العام فهم يشكلون هرما مقلوبا راسا على عقب ـ الاقلية في العمليات الاساسية والاكثرية في العمليات الهامشية. ويعزو بوروشوف هذا الوضع الشاذ الى عدم طبيعية وضع اليهود ، فهم ، على حد قوله ، قوم بدون ارض (٧) .

ان الارض ضرورية لتكوين القوميات ، لان القوم عبارة عن جماعة تطورت تحت ظروف انتاجية عينيّة ، يربط افرادها شعور بالقربى من جراء تاريخ موحد (٨) . اما الظروف الانتاجية « العينيّة » فهي الوحدة الجغرافية ، اي وجود جماعة في مكان ذي مواصفات طبيعية ومناخية معينة ، وذي موارد وامكانات اقتصادية خاصة ، ينتج عنها نمط معيّن من الانتاج. فاليهود (نصف قوم) من جراء وحدتهم التاريخية ، ولكنهم

---

٦ ـ هذه فكرة مأخوذة من ماركس مباشرة ، فهو يقول في الجزء الثالث من راس المال « ان اليهود يعيشون في داخل مسام المجتمع البولندي » .

٧ ـ بوروشوف : المسألة القومية والصراع الطبقي (في هرتزبرغ ، ص ٣٥٤ وما بعدها) .

٨ ـ جوزف هلر : الفكرة الصهيونية ، ص ٩٣ ، ليون ، المصدر نفسه ، ص ١٣ .

قوم غير طبيعي لفقدانهم ارضهم التي تكمل قوميتهم باضفائها النمط الانتاجي الموحد عليهم .

تكمن فيما سبق انتقائية بوروشوف : فهو قد تقبل وضع اليهود على انه (واقعة) فحسب ، بانها واقعة مادية ، بدون ان ينظر اليها على انها واقعة تاريخية . فان اي واقعة تشوه ان نظر اليها على انها مجرد (واقعة) بدون النظر اليها خلال اطارها العام ، (فلا وجود لشيء بدون اطار اكبر منه). والذي فعله بوروشوف هو تجريد (واقعة) الواقع اليهودي من اطارها التاريخي ، وبالتالي الى وضع حل لهذه المسألة نابع من خارج التطور التاريخي لليهود ، ومن خارج الحالة الاجتماعية الحاضرة لليهود ـ كانت اليهودية كعامل اجتماعي قد زالت في شرق اوروبه خلال القرن التاسع عشر ، وما بقي من اليهودية هو بقايا خراب الاقطاع وذهنيته ـ وبالتالي فان اي حل للمسألة اليهودية خارج نطاق الانحلال التام للعنصر اليهودي وذوبانه في المحيط الاوروبي الشرقي هو حل اصطناعي وغير ضروري، وكما برهن فيما بعد ، ضار بمصالح الكثير من الناس .

اما الشيء الذي فعله بوروشوف بالمنهج الماركسي فهو انه انتقى واستعمل ما يناسبه وتجاهل ما لا يناسبه (التاريخية)، هذا بغض النظر عن اية اعتبارات اخرى ، مما يوضح بأن هدف بوروشوف كان وضع الفكرة الصهيونية في داخل اطار ماركسي مهما كان الثمن المستوجب على الماركسية دفعه ، فلو اراد بوروشوف ان يبني بنيانا فكريا عضويا، ولو اراد ان ينتهج منهجا متسقا مع نفسه، لكان عليه اما ان يعيد تفسير الماركسية، واما ان يضع الصهيونية في اطار غير ماركسي . ولكن التناسق عنده لم يكن الهدف : كان هدفه دمج الماركسية والصهيونية باي شكل كان ، فان الماركسية والصهيونية كانتا

مغروستين غرسا عميقا في عقل بوروشوف منذ طفولته ، وفي عقل الكثير من العمال اليهود في شرق اوروبه . فقد كانت فكرة القومية اليهودية ، كما عند سيركن وغيره ، مغروسة غرسا عميقا في أعماقه من جراء تربيته التي نتجت عن قرون طويلة من الحياةاليهودية المعزولة، وبذلكاخذت شكل المقولات الافتراضية الاساسية التي لا خلاف عليها .

باختصار ، لم يكن بوروشوف على استعداد لتخطي الواقع اليهودي (كواقعة) مجردة من اطارها والنظر اليها في الاطار التاريخي، فانه لو فعلهذا بتطبيقهللمنهجية الماركسية، لكان رأى بوضوح عدم ضرورة الفكرة الصهيونية ــ وهذا ما لم يكن مستعدا لاستيعابه .

تطبيقا لمطالب الناحيتين ، الاشتراكية والصهيونية ، طالب بوروشوف ، نظريا وفي برنامج « عمال صهيون » ، ببرنامج اقصى وبرنامج ادنى . البرنامج الادنى ، والذي له الاسبقية الزمنية ، يطالب بارجاع الهرم اليهودي الى شكله الطبيعي ، اي بانشاء وطن قومي لليهود يكمل قوميتهم باعطائهم الظروف الانتاجية الاساسية والوحدة ، هذا في سبيل نقل الصراع الطبقي اليهودي الى « الارض اليهودية » وبهذا الشكل الاشتراك مع البروليتاريا العالمية في الصراع ضد البورجوازية العالمية والوصول الى الهدف الاقصى عن طريق البرنامج الاقصى ــ الاشتراكية. وكما هو واضح، هذا التقسيم للبرنامج الى مرحلتين يقتضي ضمنا التحالف مع البورجوازية اليهودية في سبيل اتمام ، او حتى بدء المرحلة الاولى من البرنامج ، وان هذه المرحلة لا بد وان تنمي الوعي القومي على حساب الوعي الطبقي . وكان بوروشوف مدركا لهذا ، فقد قال بان « الناحية الحضارية تأخذ معنى مستقلا (عن الصراع الطبقي)، وان كل افراد الشعب يجمعون على الاهتمام بحق القوميات

في تقرير المصير » (٩) وذلك اشارة الى المرحلة الدنيا من البرنامج . كل هذا ، كما رأينا ، في سبيل نقل الصراع الطبقي اليهودي الى « الارض اليهودية » ولمشاركة البروليتاريا العالمية نضالها ضد الاستغلال . ولكن لم هذا الصراع المستقل ما دام الصراع مع البروليتاريا العالمية هو الهدف ، ولم عدم العمل في روسيه ، مثلا ؟ على هذا لا يجد بوروشوف ما يقوله ، توكيدا ، سوى ان وضع العامل اليهودي غير طبيعي ويمنعه من العمل ما دام هو على هذه الحالة .

اما عن ضرورة التحالف مع البورجوازية ، فقد حذر منه بوروشوف ، ولكنه لم يعره الاهتمام الكافي ، فقد اعتقد بان الارادة الحديدية للعمال اليهود ستحدث معجزة الاستيطان في فلسطين بدون تقديم اي تنازلات لاحد ، لا لبورجوازيي المنظمة الصهيونية العالمية او للاستعمار الذي كان لا بد من موافقته على انشاء الوطن القومي اليهودي ، وهذا الاستعمار لن ينظر (بعطف) الى انشاء هذا الوطن الا ان اخذ شيئا في المقابل . فالمرحلية ، اذن ، اول نزعة متأصلة في اليسار الصهيوني ، وقد كان من شأنها توحيد الاهداف مع البورجوازية والتنازل التدريجي عن البرنامج الاقصى . وهذا ما سنراه في هذا الكتاب .

النزعة الثانية المهمة جدا في فكر بوروشوف والتي تجري عبر تاريخ اليسار الصهيوني هي الاستقطاب وحالة عدم الاتزان الموجودة في الماركسية الصهيونية ، بين القطبين اللذين دمجا بشكل اصطناعي حتم الانفصال التدريجي والمنافسة ، فان كلا من هذين القطبين كان يحاول استقطاب العنصر البشري الواقع بينهما . بالحقيقة ، ان الاستقطاب هذا يحوي تناقض وضع العامل اليهودي في اوروبه الشرقية : التناقض بين

٩ ــ بوروشوف (في هرتزبرغ)، المصدر نفسه، ص٣٥٩ .

نتيجة قرون طويلة من الانعزال وتأكيد هذا الانعزال من قبل الاضطهاد الموجه من الخارج من جهة، وبين متطلبات العامل اليهودي كبروليتاري يحس بالمتطلبات البروليتارية الاشتراكية. ووضع بوروشوف قطبين متناقضين ـ واحد يمثل العقلية الاشتراكية المتقدمة والآخر العقلية الاقطاعية ـ حتم بالضرورة تغلب احد هذين القطبين على الآخر. فان التوتر الموجود في الداخل يحتم مثل هذا التغلب، لأزالة التوتر الموجود. وهذا ما حدث على الصعيد العملي. فان تطبيق النظرية الاشتراكية الصهيونية في المجال العملي يرينا هذا التغلب للعامل الصهيوني على العامل الاشتراكي، من جراء ادراك عدم امكانية تطبيقهما سوية بشكل عملي، ومن جراء المرحلية التي تحتم التحالف مع البورجوازية وبالتالي التنازل التدريجي عن المطالب الاشتراكية. فان التحالف مع البورجوازية كان ضروريا لسيطرة البورجوازية على المنظمة الصهيونية العالمية ولان المنظمة هذه هي المنظمة الوحيدة القادرة على العمل على توطين اليهود في فلسطين. ثم ان هرتزل كان قد قال في كتيبه « الدولة اليهودية » بان الطبقات الكادحة هي الاداة الاولى للاستيطان، او، بكلمات برنامج بازل، اصبح اليسار الصهيوني « الوسيلة الملائمة » للاستيطان في فلسطين.

عمال صهيون في العالم

اسست جمعيتان صهيونيتان اشتراكيتان في فينه ولفوف ضمتا عمال مكاتب وبائعين ونقابيين واعضاء تعاونيات، وذلك في العام ١٨٩٧. ثم اسست في السنة التي تلتها جريدة «العامل اليهودي» كلسان حال الصهيونيين الاشتراكيين في النمسه. اما في العام ١٩٠٤، فقد اجتمعت هذه المنظمات واسست حزب « عمال صهيون في النمسه » تحت قيادة شلومو كابلانسكي، وتبنى هذا المؤتمر برنامج بازل واعلن عن

استعداده للتعاون مع الحزب الاشتراكي الديموقراطي النمساوي (١٠) . كل هذا بعد هجرة الاعداد الهائلة من يهود روسيه وبولنده الى النمسه وحملهم الاشتراكية الصهيونية معهم .

اما في الولايات المتحدة ، حيث كان الجو مساعدا على اندماج اليهود وتخليهم عن عزلتهم ، وحيث اندمج الكثير منهم ، فقد واجهت الصهيونية مصاعب جمة في البداية عندما حملها المهاجرون من اوروبه الشرقية في اوائل هذا القرن . وكان اول ما فعله الصهيونيون لنشر الدعاية الصهيونية بين يهود اميركه هو تشجيع استعمال اليديشية بدلا من تناسيها واستعمال الانجليزية . وذلك بنشر الصحف بهذه اللغة وبتأسيس المدارس اليهودية التي تدرسها. ثم تأسس «الاتحاد القومي للعمال اليهود » في العام ١٩٠٨ واصدر مجلة « المكافح اليهودي » التي كان لها اثر كبير على سير المنظمة واجتذاب اليهود اليها .

اما خلال الحرب العالمية الاولى ، فقد كان اليسار الصهيوني في الولايات المتحدة في اوج عزه وازدهاره . فقد هاجر معظم قادة « عمال صهيون » الى هناك ، وكان من بينهم نخمان سيركن الذي بقي هناك حتى وفاته في العام ١٩٢٤ ، وبر بوروشوف الذي عمل في تحرير مجلة « المكافح اليهودي » حتى رجوعه الى روسيه عام ١٩١٧ وغيرهم من قادة عمال صهيون في اوروبه . اما عمال صهيون في فلسطين ، فقد هاجر الى اميركه كل من دافيد بن جوريون واسحق بن زفي بعد نفيهما من فلسطين من قبل السلطات العثمانية . وقد عمل بن جوريون على اجتذاب اعضاء « عمال صهيون » الاميركيين الى الفرقة اليهودية التي كان يعمل على تأسيسها

١٠ ــ لفنبرغ ، المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .

لمساعدة بريطانيه في حربها ضد تركيه ، كما عمل على جمع التبرعات « لصندوق عمال فلسطين » الذي اسسه « عمال صهيون » في فلسطين لأجل بناء وطن قومي لليهود فيها (١١). وقد كان بن جوريون موفقا في محاولاته هذه ، كما انه وفق في نشر الدعاية الصهيونية بشكل اوسع .

اما في بريطانيه ، فقد كانت هناك حركتان اسستا عام ١٩٠٢ ، تضمان العمال اليهود وتدعوان للصراع الطبقي ، وقد تأسس حزب « عمال صهيون » في بريطانيه عن اتحاد هاتين المنظمتين في العام ١٩٠٦ . وقد طالب برنامج الحزب هذا بتأسيس حركة عالمية للاشتراكيين الصهيونيين ، وبنشر الثقافة العبرية والمبادىء النقابية . ومنذ البداية ، تغلغلت الاشتراكية الصهيونية في حزب العمال البريطاني وفي الاتحاد العام لنقابات العمال حتى انضم حزب « عمال صهيون » الى حزب العمال في العام ١٩٢٠ (١٢) وشكل جماعة تضغط داخليا على سياسة الحزب تجاه قضية فلسطين ، وكان لهم اثر كبير على تأييد الحركة العمالية في بريطانيه للاستعمار الصهيوني في فلسطين ، فقد صوروها كبلد مقفرة تبنى من لا شيء على اسس اشتراكية صافية ، وان الوجود الصهيوني فيها يشكل صفة المدنية الاوروبية في وسط بدائي ، ويعمل على رفع مستواه وبث الروح الاشتراكية في عقليته البدوية .

في العام ١٩٠٧ ، واثناء المؤتمر الصهيوني العالمي الثامن في مدينة لاهاي Hague ، تأسس « الاتحاد العالمي لعمال صهيون » على يد مندوبين عن منظمات « عمال صهيون » في روسيه وبولنده والنمسه وبريطانيه والولايات المتحدة وفلسطين ورومانيه ، وكان من ابرز هؤلاء المؤسسين بر بوروشوف عن

١١ ـ المصدر السابق ، ص ١١٠ و ١١٢ .
١٢ ـ المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

روسيه ، وشلومو كابلانسكي عن النمسه واسحق بن زفي عن فلسطين . وقد تبنى هذا المؤتمر المرحلية البوروشوفية ، فقط طالب بالحل الاقليمي للمسالة اليهودية عن طريق هجرة العمال اليهود الى فلسطين لاقامة مجتمع اشتراكي ، كما طالب بالقضاء على الراسمالية والتاميم التام لجميع قوى الانتاج من خلال الصراع السياسي والاقتصادي ضد البورجوازية اليهودية والبورجوازية العالمية (١٢) .

وقد ظهرت هذه المرحلية اولا بالتعاون التام مع المنظمة الصهيونية العالمية التي تسيطر عليها البورجوازية اليهودية . ثم ان هذا الاعتماد التام على هذه المنظمة حدث بغض النظر عن اية اعتبارات عقائدية وبالرغم من الخلافات النظرية ـ فقد كان الاثنان متممين احدهما للاخر . كانت وظيفة المنظمةالصهيونية العالمية العمل على الصعيد الدبلوماسي لتؤمن موافقة الدول الكبرى على استيطان اليهود في فلسطين ، والعمل على نشر الدعاية الصهيونية بين اليهود وغيرهم ، وجمع التبرعات والدعوة الى الهجرة وتنظيمها وتمويلها ، بينما كانت وظيفة اليسار الصهيوني العمل الفعلي في الارض لبناء الاساس اليهودي الاقتصادي والاجتماعي في فلسطين ، كما استغلت المنظمة الصهيونية العالمية اشتراكية اليسار الصهيوني لاستقطاب الكثير من اليهود ودعوتهم الى الهجرة . كذلك عمل اليسار الصهيوني على التغلغل في اليسار الاوروبي والقيام بالدعوة لمساندة الصهيونية . فاليسار الصهيوني واليمين الصهيوني الممثل في المنظمة الصهيونية العالمية كانا جزئين لا يتجزان من حركة واحدة هي الحركة الصهيونية لبناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، كان جزء يعمل على الصعيد الخارجي والاخر على البناء الداخلي للوطن القومي هذا .

١٢ ـ المصدر السابق ، ص ١١١ .

وكثيرا ما تعارضت متطلبات البرنامج الاقصى لليسار الصهيوني مع متطلبات البرنامج الادنى ، ولكن هذه الخلافات كانت تذوّب لمصلحة البرنامج الادنى وعلى حساب البرنامج الاقصى ، فكل شيء كان خاضعا للهدف (الاسمى) ، الا وهو الفكرة (الاسمى)، فكرة الصهيونية ، التي اخذت تتحجر في عقل اليسار الصهيوني بسرعة واخذت تطلب الولاء على حساب كل شيء آخر ، واتسمت بهذا الطابع المطلق الذي يعمي الابصار ويمنع رؤية اي شيء آخر ، مما يذكرنا بنظرة الفاشية الاوروبية الحديثة تجاه « القومية » و « الدولة » .

حاولت منظمة « عمال صهيون في العالم » منذ بدايتها، الانضمام للاممية الثانية (١٤) ، ولكن طلباتها قوبلت بالرفض . ففي العام ١٩٠٧ قدم الاتحاد العالمي لعمال صهيون طلبا بالانضمام الى الاممية ، وتضمن الطلب هذا تصريحا بمبادىء عمال صهيون الاشتراكية ، واصرارا على ان الحل الوحيد للمسألة اليهودية هو الحل الاقليمي ببناء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وان بهذا انما يتمكن العامل اليهودي من ان يلعب دوره الطبيعي في الصراع البروليتاري العالمي ضد الرأسمالية ، وجدد هذا الطلب بانشاء قسم يهودي في الاممية في ١٩٠٨ و ١٩١١ ، ولكن هذه الطلبات كلها رفضت (١٥) . فقد كانت الاممية حتى ذلك الحين مؤسسة ماركسية تحت سيطرة ماركسيين صحيحين مثل لينين وروزا لوكسمبورغ ، وبالتالي كانت نظرتهم للقومية اليهودية النظرة الماركسية

---

١٤ ــ اسست عام ١٨٨٩ وكانت تجمع كل الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية الماركسية في اوروبه وتشكل صلة الوصل بينها .

١٥ ــ لفنبرغ ، المصدر نفسه ، ص ١١٤ .

الصحيحة التي ذكرناها قبلا في حديثنا عن « البند » ، اي انهم نظروا اليها على انها حركة رجعية تنمي الوعي القومي على حساب الوعي الطبقي . الا انه مع اندلاع الحرب العالمية الاولى، انجرفت معظم الاحزاب الاعضاء في الاممية بتيار الشوفينية الذي اجتاح اوروبه آنذاك ، وايدت بورجوازية هذه البلدان في حربها ، بينما اصبح الجناح الماركسي ، تحت قيادة لينين، اقلية تدعو الى تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية .

هذه الاحداث احدثت تغييرا عاما في الجو داخل الاممية الثانية ، مما دعاها في سنوات الحرب لاعادة النظر في موقفها نحو القومية ، وبالتالي نحو الصهيونية . ففي العام ١٩١٧ ، وعند اجتماع اللجنة الهولندية ـ السكندينافية لاصدار «بيان السلام » ، اعلنت فيما اعلنت انها « تعترف بالطابع العالمي للمسألة اليهودية وضرورة طرح هذه المسألة في المعاهدة (معاهدة الصلح) ... وانه يجب دعم الهجرة اليهودية الى فلسطين بواسطة ضمانات عالمية » (١٦) . ثم اجتمعت الاحزاب الاشتراكية للدول الحليفة في شباط (فبراير) ١٩١٨ ، واتخذت قرارا يدعو الى وجوب « تحرير حكومة فلسطين من الطغيان التركي لتصبح هذه البلاد دولة حرة ، تضمن حريتها الدول الكبرى ، من اجل ان يتمكن اكبر عدد ممكن من اليهود الرجوع اليها ليعملوا على خلاص انفسهم بدون تدخل اشخاص من دين او عنصر مختلف » (١٧) . وعلى اثر ذلك ، وفي مؤتمر امستردام (نيسان ، ابريل ، ١٩١٩) للاممية الثانية ، اعترف المؤتمر « بالطابع العالمي للمشكلة اليهودية » وطالب بمعالجتها عالميا بواسطة « الحقوق المدنية والمساواة التامة لليهود في كل بلد » و « بالحماية الدولية لليهود ، كما للاقليات القومية

١٦ ـ المصدر السابق ، ص ١١٥ .
١٧ ـ المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

الاخرى، من كل انواع الاضطهاد» ، ثم طالب المؤتمر بالاعتراف « بحق اليهود في بناء مركز قومي في فلسطين ، ضمن قوانين عصبة الامم ، التي ستكون مسؤولة عن حقوق السكان غير اليهود » ، كما طالب باعتراف عصبة الامم باليهود كأمة (١٨) .

وبهذا الشكل كان اعتراف الاشتراكيين الاوروبيين بالقومية اليهودية و (حقوقها) في فلسطين ، مع الاخذ بعين الاعتبار ، طبعا ، (الاقلية المحلية) التي يتغلب عليها طابع البداوة . ان انضمام « عمال صهيون » للاممية الثانية وعدم انضمامهم للكومنترن يرينا بوضوح نظرة الماركسيين الامميين الممثلة في الكومنترن اليهم ، والممثلة برفضهم وادانتهم ، كما يرينا نظرتهم للكومنترن وتفضيلهم الاممية الثانية بعد انحرافها، ولولا هذا الانحراف لما تمكنت الصهيونية من ان تلاقي هذا التأييد من قبل اشتراكيي اوروبه الذين اصبحوا يخدمون مصالح الحالة الراهنة ـ الحكم الرأسمالي .

١٨ ـ المصدر السابق ، ص ١١٦

الفصل الرابع

مرحلة التمهيد ١٩٠٥ ــ ١٩٢٠

سنستعرض في هذا الفصل تطور اليسار الصهيوني في فلسطين في الفترة الواقعة ما بين العام ١٩٠٥ ، عام بداية الموجة الثانية من الهجرة اليهودية، والعام ١٩٢٠ ، عام تاسيس الهستدروت و (اتحاد العمل) ، عام انهاء التنظيم التمهيدي الاساسي الذي بني عليه البنيان الاقتصادي والاجتماعي للدولة اليهودية . اي اننا سننظر لليسار الصهيوني من منظار اكبر منه ، سننظر اليه من خلال دوره في بناء « الوطن القومي اليهودي » ، او : في هذه الفترة بالذات : دوره في التمهيد السياسي والاقتصادي في سبيل تاسيس منظمات اجتماعية وسياسية تعمل على بناء الدولة اليهودية في فلسطين .

الهجرة اليهودية ونشوء فكرة الجماعية

في الثمانينات من القرن الماضي هاجر بعض اليهود من اوروبه الشرقية الى فلسطين ، وذلك على اثر مذابح ١٨٨١ ، وبدعم مادي من الثري اليهودي البارون دي روتشيلد عن طريق « منظمة فلسطين اليهودية الاستعمارية » التي اسسها لتمويل الهجرة . وكان الكثير من هؤلاء المهاجرين من اعضاء جمعية « محبي صهيون » السالفة الذكر ، واقاموا بعض

المستعمرات ، واهمها بتاح تكفا وريشون لزيون . ولم تكن هذه الموجة من الهجرة منظمة بشكل جدي ، وكان الطابع الاجتماعي العام لتلك المستعمرات طابعا راسماليا تقليديا ، حيث كان اليهود « ارستقراطيةزراعية مصغرة » (١) يستغلون العمال الماجورين العرب . ولم يستغل هؤلاء العرب فحسب ، بل بعض المهاجرين اليهود الفقراء ، الذين اسسوا اول تنظيم شبه نقابي في ريشون لزيون في العام ١٨٨٧ (٢) .

بيد ان مجيء الموجة الثانية من الهجرة (١٩٠٥–١٩١٤) التي ضمت بين ٣٥٫٠٠٠ و ٤٠٫٠٠٠ يهودي احدث بعض التبديل في الوضع الاستعماري هذا . فقد عمل افراد هذه الموجة في اول الامر كعمال زراعيين مأجورين في المستعمرات اليهودية الاولى ، واستغلهم ارباب العمل ، على ان ارباب العمل هؤلاء كانوا يفضلون العامل العربي على العامل اليهودي ، فهو فلاح بارع بينما تنقص اليهودي الخبرة في العمل اليدوي ، كما ان العامل العربي اقل كلفة من العامل اليهودي وكان يطالب باجر اقل مما كان يطلبه العامل اليهودي . بالاضافة الى ذلك، كان العامل العربي اقل وعيا نقابيا من العامل اليهودي وكان استغلاله اسهل .

كل هذا اثار استياء العامل اليهودي المهاجر . فقد نقل هؤلاء معهم الذهنية المتأتية عن وضعهم الاجتماعي في اوروبه الشرقية ، وبالتالي اعترضوا على « الارستقراطية الزراعية » هذه من وجهة نظر اشتراكية . بيد ان العامل الاهم هو ادراك المهاجرين المتاثرين بالدعاوة الصهيونية بجانب الدعاوة الاشتراكية ، بانه « من المستحيل على العامل اليهودي تثبيت

---

١ – ساخار ، المصدر نفسه ، ص ٢٧٩ .
٢ – لفنبرغ ، المصدر نفسه ، ص ١١٠ .

نفسه في الارض ما دام عاملا مأجورا » (٣) فقد كان من الضروري ان لا يكون العامل اليهودي مأجورا ، بل عاملا في ارضه ، لان هذه هي الطريقة الوحيدة للبقاء في هذه الارض وتحويلها الى وطن قومي ، اي انه يجب عليه ان يكون مغروسا فيها . وعلينا الا ننسى الملاحظة البارعة التي قدمها كتاب منظمة الاسكو « ان الشبان اليهود الذين وصلوا الى فلسطين ... كانوا من الطبقات الوسطى ، وارادوا ان يكونوا عمالا ، ولكنهم لم يكونوا يريدون ان يكونوا مأجورين » (٤) .

من جراء هذا ، قام افراد الموجة الثانية من الهجرة بتنظيم الاضرابات تحت شعار « العمل اليهودي فقط » ، وعندما لم تأت هذه الاضرابات بأي نتائج ايجابية قاموا بتأسيس مستعمرات جديدة. مثلا عندما لم يتجاوب رب العمل مع العمال المضربين في طبريه عام ١٩٠٨ ، ترك جميع العمال البلدة واسسوا دجانيا « الف » على نهر الاردن (٥) . الا ان هذه الموجة من تأسيس المستعمرات لم تأخذ طابعا منظما وذا شأن الا عندما اسس الدكتور ارثر روبين Ruppin « مكتب فلسطين » في يافا عام ١٩٠٨ ، الشيء الذي شكل اول خطوة في الاستيطان المنظم في فلسطين . وكان هذا المكتب تابعا بشكل مباشر للمنظمة الصهيونية العالمية التي كانت تزوده بالتعليمات وبالمال عبر « صندوق فلسطين القومي » الذي اسس عام ١٩٠١ لشراء الاراضي . وكان هذا المكتب يقوم بشراء الاراضي في المناطق المحددة حسب الخطة الاستيطانية وبتأجيرها للمهاجرين ولمدة ٤٩ سنة ، اي ان الاراضي كانت منذ البداية ملكا للمنظمة الصهيونية العالمية (٦) .

---

٣ ـ والتر برويس : الحركة العمالية في اسرائيل ، ص ٢٥ .
٤ ـ مؤسسة الاسكو : فلسطين... الجزء الاول، ص ٣٥٥ .
٥ ـ هنرك انفيلد : الحياة التعاونية في فلسطين ، ص ١٥ .
٦ ـ المصدر السابق ، ص ١٢ .

في اول الامر ، كانت الاراضي تؤجر للافراد بمعدل حوالي ٢٥٠ دونما للفرد وعائلته . بيد ان هذا الترتيب برهن عن عدم فعاليته : فقد كان المهاجرون الجدد آتين من وسط « هامشي » ولم تكن لهم الخبرة الزراعية ، وبالتالي لم يتمكنوا من الاهتمام بـ ٢٥٠ دونما دون اية مساعدة فنية او تعليمية. لهذا السبب ، اسست المزارع الجماعية حيث كان بالامكان تدريب المزارعين الجدد على ايدي المزارعين ذوي الخبرة ، وحيث امكن استبدال من ترك الارض بشخص آخر ، فقد ترك فلسطين الكثير من اليهود ورجعوا الى بلادهم بعد ان وجدوا الحياة صعبة فوق طاقة احتمالهم ، تاركين وراءهم هذه الاراضي الافرادية التي اصبحت خرابا (٧) .

كانت كل من المزارع الجماعية مقسمة الى قطع مسؤول عنها افراد ، ولم يكن التخلي عن الملكية الخاصة في اول الامر سهلا. بيد ان الملكية الجماعية للارض سهلت الاعمال الزراعية، كما انه لم يكن هنالك في البداية اي ربح ليوزع على الافراد العاملين في المزرعة ، وبهذا الشكل اخذت فكرة الجماعية تتغلب على فكرة الملكية الخاصة (٨) ، واعتمد نجاحها على الضرورة وبالسير على مبدأ « من كل حسب طاقته ، الى كل حسب حاجته » . ويمكننا هنا ان نرى بوضوح جلي وبشكل مباشر جدا تفاعل الايديولوجية مع الحالة المادية : فان عقيدة اشتراكية اتى بها المهاجرون معهم تقوت وثبتت على اثر ضرورتها . كذلك فان من بين الاسباب التي جعلت « مكتب فلسطين » يعمل على تشجيع الملكية الجماعية هو ان تكاليف انشاء مزرعة جماعية كان اقل بكثير من تكاليف انشاء مزارع خاصة (٩) ، وكانت

---

٧ ــ المصدر السابق ، ص ١٥ .

٨ ــ المصدر السابق ، ص ١٥ .

٩ ــ الياهو كانوفسكي: اقتصاد الكيبوتز الاسرائيلي، ص١٨ .

بالتالي « اكثر ملائمة » من المزارع الخاصة ، او ، على حد قول وايزمان « لو كانت لدينا الاموال الكافية ... لكنا قد بدأنا تحويل الكيبوتزيم الى موشافيم » (١٠) .

بهذا الشكل ظهرت المزارع الجماعية ، التي شكلت النواة والوحدة الاساسية ، للاستعمار الصهيوني في فلسطين . وقد نشأت عن هذه المزارع اتحادات عدة ، كان كل واحد منها يضم عددا من هذه المزارع وتابعا لاحد الاحزاب السياسية ، كما اعيد بناء المنظمة شبه النقابية اللاحزبية التي ضمت معظم افراد هذه المزارع والتي سميت «منظمة العمال الزراعيين» (١١) .

الجماعية الغوردونية و « العامل الفتى »

ان مفهوم «الطبيعية» مفهوم يجري خلال الفكر الصهيوني باكمله ـ فاليهود قوم غير طبيعي abnormal لانهم قوم بدون ارض ، وعند بوروشوف نجدهم هرما مقلوبا رأسا على عقب . وفي محاولتهم لتحقيق الفكرة الصهيونية كان عليهم اذن ان ينتقلوا من العمليات الاقتصادية الهامشية الى العمليات الانتاجية الاساسية ـ كحرث الارض وفلاحتها وبقية انواع العمل الجسدي الشاق الذي سيعمل على تنقيتهم من الطفيلية وتحويلهم الى قوم طبيعي يعيش من عمله . وقد نقل المهاجرون هذه الافكار معهم من اوروبه الشرقية الى فلسطين ، وكان على

---

١٠ ـ نقلا عن المصدر السابق ، ص ١٧ . الكيبوتزيم هي المزارع الممتلكة جماعيا ، والموشافيم هي المزارع الممتلكة فرديا من قبل افرادها . للتوسع في هاتين المؤسستين يمكن مراجعة حلقتي ٤ و ٢٦ من سلسلة دراسات فلسطينية الصادرة عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

١١ ـ لفنبرغ ، المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .

راس المبشرين بتطهير الانسان خلال العمل الجسدي الشاق اهارون دافيد غوردون . ولد غوردون في اوكرانيه في العام ١٨٥٦ وعمل كمحاسب حتى العام ١٩٠٣ عندما هاجر الى فلسطين . وبالرغم من ضعف بنيانه الجسماني ، اصر ان يقوم بكل الاعمال الجسدية المضنية في سبيل تحقيق هدفه بالرجوع الى الطبيعة الام ، وقد تم التحامه بها وجمعه معها عندما وري الثرى في العام ١٩٢٢ .

ان اول متطلبات البداية بالعمل هو قهره (١٢) ـ فقهر العمل هو الشيء الاول الضروري عمله في سبيل التمكن من العمل ، وهذه نقطة جديرة بالاهتمام . ان مجرد التفكير بأن العمل يستوجب قهرا يدل على ان البدء بالعمل بالشكل الطبيعي عمل شاق بالنسبة لصاحب هذه الفكرة . وهذا ليس بغريب ، فان اصحاب فكرة قهر العمل قد اتوا من وسط بورجوازي صغير يحتقر العمل اليدوي والجسدي (١٣) ، وان هذا التشديد على ضرورة العمل ذو قيمة ثورية حقة . فان اليهودي الذي قذف الى مصاف البروليتاريا قد واجه ضرورة العمل اليدوي الملحة فاضطر الى الثورة على الماضي ـ وبذلك اضطر ان يقهر فكرة العمل بقهره لاحتقاره الشديد لهذا العمل ـ وان كانت هذه الثورة على الماضي والاخذ بالحياة البروليتارية جاءت بشكل محوّر ذلك ان العامل الجديد هذا كان يعمل في ارض اخرى ـ فلسطين ـ لعدم مقدرته على استيعاب موقفه كعامل في مكان ولادته ، فانه في هذا المكان انما يرى ماضيه ، ومحاولته لتناسي ماضيه هي احد الدوافع التي دفعته ليصبح

---

١٢ ـ ملفورد سبيرو : كيبوتز : رحلة في الطوباوية ، ص١٤ .

١٣ ـ في التلمود قول بان اليهودي الصالح الذي يطيع الله سيجد من يقوم بعمله الجسدي عنه . (غوردون ، في هرتزبرغ ، المصدر نفسه ، ص ٣٧٢) .

صهيونيا . فان قهر العمل ، اذن ، هو المرحلة التي لا بد وان يمر بها هذا اليهودي ـ مرحلة التحول الاجباري من الذهنية البورجوازية الصغيرة الى الذهنية البروليتارية . بكلمةاخرى، هذا التحول هو الانعكاس على الصعيد الايديولوجي للتحول الاجتماعي الذي حل بيهود اوروبه الشرقية في اواخر القرن التاسععشر، ولم يكنهذا تحولا سليما تماما ، انما كانمحورا.

فقهر العملاذن هو سبيلالوصولالى العمل،وبالحصول عليه وبممارسته يعود الانسان الى انسانيته الحقة ـ انسانيته الطبيعية . يقول غوردون في هذا الصدد « عندما ترجع ، ايها الانسان ، الى الطبيعة ـ في ذلك اليوم ستتفتح عيناك وستنظر مباشرة في عين الطبيعة ، وفي مرآتها سترى صورتك . عندئذ ستعلم انك رجعت الى نفسك ، وانك عندما كنت مختبئا من الطبيعة ، انما كنت مختبئا من نفسك» (١٤). فالرجوع الى الطبيعة والاتحاد شبه الصوفي معها ، ايخلاص الانسان كانسان ، هو هدف العمل ، ولهذا السبب وجب على الجميع « العمل من اجل العمل » (١٥) . على اليهودي ، الذي كان مسلوبا من الطبيعة لقرون عديدة ، عليه بالعمل الجسدي الشاق من اجل الرجوع الى الطبيعة هذه وبالتالي من اجل خلاص نفسه . فخلاص اليهود ، او ما يكون حل المشكلة اليهودية ، لا يمكن ان يتم الا عن طريق العمل ، فالعمل بقلبه الهرم المعكوس يثبّت اليهود في فلسطين ، حسب رأي غوردون .

العمل يعني الخلق والابداع ، والخلق والابداع هما اهم مواصفات الانسان (١٦) . بيد ان حياة الانسان الابداعية ،

١٤ ـ المصدر السابق ، ص ٣٧١ .
١٥ ـ المصدر السابق ، ص ٣٧٢ .
١٦ ـ المصدر السابق ، ص ٣٨١ .

الطبيعية ، لا يمكن ان تتم على نحو فردي فأنه « فقط من حياة القوم ككل يمكن ان تتبع حياة الفرد في ناحيتيها الانسانية ـ الروحية والانسانية ـ الكونية » (١٧) ، فان القومية هي العنصر الكوني الذي يربط افراد هذا الشعب بعضهم ببعض بروابط ازلية شاملة ضمنت بقاء اليهود لألفي عام في التفرق ، وان بعث هذا العنصر الكوني هو الشيء الوحيد الذي سيؤدي الى خلق الحياة القومية مجددا بشكل خلاّق .

وهذا البعث القومي يجب ان يكون بعثا حضاريا ، والبعث الحضاري اليهودي هو بعث اللغة العبرية . الا ان البعث الحضاري هذا ليس بعث الافكار والمبادىء اليهودية فحسب ، فالحضارة هي « كل ما يخلق من اجل الحياة ... اي نشاط انتاجي هو جزء من الحضارة وهو بالفعل اساسها ومضمونها ... كل ما يفكر ويشعر به الناس ... كل هذا يكون روح الحضارة القومية ، وعلى هذا الاساس ترتكز التعبيرات الحضارية العليا ، من علم وفن ومن مذاهب وايديولوجيات » (١٨) . يجب اذن بعث وتجديد اليهودية (١٩) على اساس البعث الانساني الذي ، كما رأينا ، يعتمد على العمل الجسدي ، وهذا البعث اليهودي القومي سيكمل بدوره البعث الانساني وسيسمو به الى الآفاق العليا ، حيث تكتمل القومية اليهودية اكتمالا طبيعيا يجعلها القائد الروحي للاقوام الاخرى ، وفي فلسطين ، وعندما تكتمل الشخصية اليهودية، سيكون العدل الاجتماعي وقدسية العمل مثالا تقتدي به

١٧ ـ غوردون في لفنبرغ ، المصدر نفسه ، ص ١٤٤ .
١٨ ـ غوردون في هرتزبرغ ، المصدر نفسه ، ص ٣٧٣ .
١٩ ـ اليهودية كحضارة وليست كدين . وهنا التناقض الاساسي في الايديولوجية الصهيونية عموما : المطالبة ببعث الحضارة العبرية من جهة والهروب من الماضي اليهودي من جهة اخرى .

الشعوب الاخرى (٢٠) .

المكونان الرئيسيان لايديولوجية غوردون ، اذن ، هما القومية والعمل ـ او اللغة والانسان (٢١) . فاللغة هي قوام القومية ، فهي الرابط الكوني الذي يعمل على بقاء القومية هذه . البعث القومي والبعث الانساني هما متطلباته ، والوسيلة لهذا هي بعث اللغة العبرية وبعث العمل . وبما ان هذا العمل المطهر لا يمكن ان يتم بالجهد الفردي ، عليه ان يتم بالجهد الجماعي للافراد المتعاضدين المتساوين . فالجماعية اذن هي المكون الثالث الرئيسي ، المكون « المنهجي » ، لهذه الايديولوجية ، فهي نابعة عن ضرورتها العملية في سبيل تأكيد الروابط الكونية (٢٢) .

لن احاول الغوص فيما سبق لأقوم بعملية نقد منطقي ، بل على العكس ، فان من يتقبل الاساس الذي بني عليه ما سبق لا بد وان يجد الترابط الداخلي منطقيا الى اقصى درجة . لهذا فانه من الكافي ان نحاول « غربلة » ما سبق لنرى مكوناتها الاساسية . ان اول واهم ما يتبادر للذهن هو ان هذا الكلام بالتجريدات والتعميمات الضبابية غير المحددة انما يدل على عجز عن التحديد. فان قنوط العقل البورجوازي

٢٠ ـ هلر ، المصدر نفسه ، ص ٩٩ .
٢١ ـ المصدر السابق ، ص ٩٩ .
٢٢ ـ هناك تقارب كبير بين مفهوم الحضارة وعلاقتها بالبعث القومي وبالفرد عند غوردون ومفهوم الحضارة عند بعض المفكرين الفاشستيين في اوروبه . راجع مقالة موس : تكوين الفاشية في مجلة التاريخ المعاصر ، العدد الاول ، الجزء الاول ، ولا غرو ، فان الاثنين ينبعان من تحويل العقل البورجوازي الصغير للفكرة القومية الى مطلقة ، وعبادته للفكرة الاسمى .

الصغير وحدوده الضيقة يرفع احساسه بالعجز الى مصاف المقولات الازلية وبالتالي يعلن عن عجزه عن تفهم وضعه كما هو. فان عدم القدرة على استيعاب الموقف يجعل الموقف هو المسيطر على الانسان . فعندما يرفع المرء اي فكرة الى عالم المطلقات انما يجعل نفسه عبدا لهذه الفكرة . ان دين العمل هذا ليس الا ردة فعل البورجوازي الصغير تجاه موقفه الاجتماعي الجديد - ضرورة العمل على اساسه وعدم فهمه له - الذي وجد نفسه فيه في اواخر القرن الماضي . ان الكلام بطريقة غوردون عن العمل واللغة ووجوب بعثهما انما يدل على المتطلبات النابعة من وضع هذا اليهودي في اوروبه - الغاء الهامشية والغاء الاضطهاد - ومن متطلبات وضعه الجديد في فلسطين ، حيث العمل الجسدي الشاق والمتواصل وبعث اللغة العبرية هي اهم متطلبات تثبيت اليهودي على ارض فلسطين . وما النزعة شبه الصوفية عند غوردون الا التأكيد على هذه الضروريات ووجوب غرسها في نفوس المهاجرين غرسا عميقا. ثم ان اكبر دليل على عدم تفهم اليهود لوضعهم الجديد هو الدعوة الى البعث العبري اليهودي في الوقت الذي كانوا فيه يهربون من تراث الفي سنة من اليهودية بهربهم من اوروبه ، وانهم بالمطالبة بجعل اليهودي طبيعيا انما يطالبون بتحويل هذا اليهودي من يهودي الى شيء آخر .

واهمية غوردون تقع في انه قد مثل باصفى شكل ابعد ابعاد موقف المهاجرين اليهود الضروري من العمل . فقد كانت عبادة العمل شائعة عند الكثيرين ، بدرجات متفاوتة . الا ان غوردون هو الذي مثل هذا الاتجاه باقصى درجاته ، وكان بذلك نقطة استقطاب لكثير من هؤلاء المهاجرين الذين جعلوا منه مثلا اعلى ومن نمط حياته النمط المثالي . اسس اتباع غوردون حركة « العامل الفتى » (هابوئيل هاتزاعير) وكان معظم اعضاء هذه الحركة ممن تأثروا « بالاشتراكية الشعبية »

الروسية (Popular Socialism) قبل مجيئهم الى فلسطين . تأسست هذه الحركة في العام ١٩٠٦ وكانت اول مقرراتها « دخول اليهود في جميع فروع العمل في فلسطين » (٢٣) ، وكان نشاطهم منذ البداية مركزا على بناء المستعمرات . مثل باقي المهاجرين ، ادرك هؤلاء ان العمل الفردي المأجور لن يؤدي الى اعطائهم موطىء قدم ثابت في فلسطين ، وان الانغراس في الارض هو الطريقة الوحيدة للوصول الى البعث القومي . بهذه الطريقة وفي مؤتمر المنظمة في صيف ١٩٠٨ ، شرح احد قادتهم ، جوزف فيتكن ، هذا الامر ، واتخذ المؤتمر قرارا بانشاء المستعمرات اليهودية والمطالبة بعدم استئجار العمال العرب في المزارع اليهودية ، من اجل التحكم الفعلي بارض فلسطين ، كما اتخذ هذا المؤتمر قرارا بتأسيس منظمة هاشومير (الحارس) لحراسة المزارع اليهودية والدفاع عنها في حالة هجوم العرب عليها . بيد انهم لم يتقدموا التقدم السريع الذي كانوا يرجونه بل على العكس ، فقد ساءت حالتهم المعيشية والمادية عندما حاولوا الاعتماد على انفسهم ، ولولا تدخل المنظمة الصهيونية العالمية عن طريق مكتب فلسطين وسندها لهم لآلت مزارعهم هذه الى الخراب (٢٤) .

وقد رفض اعضاء « العامل الفتى » الماركسية لانها « ميكانيكية » على حد تعبيرهم (٢٥) ، وبرفضها رفضوا الحركة الاشتراكية العالمية ، كما رفضوا اعتماد برنامج سياسي وعملي كامل للسبب نفسه ، فقد ارادوا عملا « عضويا » ، ولم يروا في ميكانيكية البرامج الا التأخير والوقوف في وجه المجابهة مع الطبيعة ، كما انهم رفضوا الماركسية لانها تقول بالصراع

٢٣ ـ نقلا عن الكس باين : الرجوع الى الارض ، ص ٤١ .
٢٤ ـ المصدر السابق ، ص ٤٤ .
٢٥ ـ برويس ، المصدر نفسه ، ص ٢٨ .

الطبقي ، بينما قالوا هم بان التناقض الاساسي هو ليس التناقض بين العمل ورأس المال ، بل بين الطفيلية والابداع ، مما يدل على انهم لم يكونوا قادرين على استيعاب موقفهم واهدافهم وصياغتها بشكل برنامج عمل محدد ، فقد كان كل ما قالوا به من هدف هو الشعار الذي كان يطبع على كل نسخة من جريدتهم والذي يقول « ان الشرط الاساسي لتحقيق الصهيونية هو دخول العمل اليهودي في جميع مرافق البلاد » (٢٦) . وكان اهم نواحي نشاطهم اعتناؤهم بنشر اللغة العبرية . فقد كانوا اول من استعمل هذه اللغة بدلا من اليديشية التي كانت تستعمل في معظم الحالات ، وكانت جريدتهم اول جريدة صدرت باللغة العبرية في فلسطين (٢٧).

ادى رفض «العامل الفتى» الصريح للماركسية وهوسهم الزائد بالعمل الى انعزالهم عن بقية الفئات الصهيونية ، الاشتراكية وغير الاشتراكية ، وقد زاد على هذا تصرفات بعضهم الشاذة والمضحكة في كثير من الاحيان خلال رجوعهم للطبيعة (٢٨) . فقد قال بعضهم بأن حلاقة الذقون والشعر منافية للطبيعة ، وبالتالي توقفوا عن الحلاقة ، كما ان بعضهم دعا الى رفض الثياب التقليدية الاوروبية لانها منافية للطبيعة، ولبس كيس ذي ثلاثة فتحات، واحدة للرأس واثنتين لليدين. كل هذا ادى الى زيادة في عزلتهم ، الشيء الذي اضفى عليهم صفة المجموعة الصغيرة المتماسكة تماسكا شديدا من جراء نظرها للداخل ورفضها للخارج . الا ان الاحداث والظروف جعلت رفضهم للخارج يتقلص ، فهم ، من جهة ، معتمدون على المنظمة الصهيونية العالمية التي تدعمهم ماليا، ومن جهة اخرى

---

٢٦ ـ المصدر السابق ، ص ٢٨ .
٢٧ ـ باين ، المصدر نفسه ، ص ١٤٤ .
٢٨ ـ انفيلد ، المصدر نفسه ، ص ١٩ ، لبعض الامثلة .

عليهم الاتصال السياسي بالفئات الاخرى ، لان العزلة الشديدة في بلد غريب ومعاد يعرف انهم يحاولون اغتصابه، عزلة خطرة.

عمال صهيون

كان الكثير من المهاجرين الى فلسطين من شرق اوروبه في الموجة الثانية من الهجرة اعضاء في احزاب عمال صهيون هناك ، وابرزهم دافيد بن جوريون واسحق بن زفي وادولف بيرمان . باجتماعهم في فلسطين وباعادة تأسيس الحزب هناك، انما حملوا هذا التنظيم الجديد نفس التناقضات التي كانت موجودة في « عمال صهيون » شرق اوروبه ـ الاستقطاب بين الاشتراكية الماركسية والصهيونية وتحتم تغلب احد هذين القطبين على الآخر .

تأسس حزب عمال صهيون في فلسطين في العام ١٩٠٦ ، وكان بن جوريون رئيسا للجلسة التأسيسية . وقد تبنى الحزب في اجتماع يافا في ربيع ١٩٠٧ برنامجا ، يضم ما يلي :

١ ـ « البرنامج الاقصى » : ان هدف حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي اليهودي ـ عمال صهيون هو تأميم جميع وسائل الانتاج وبناء المجتمع على اسس اشتراكية . وان الوسيلة الوحيدة للوصول الى هذا الهدف هي الصراع الطبقي ، وان طبيعة هذا الصراع ستتوقف على الحالات الافرادية ـ الزمانية والمكانية ـ لهذا الصراع .

٢ ـ المسألة الوطنية : اما بخصوص المسألة اليهودية ، فان الحزب يهدف الى تحقيق السيادة السياسية الذاتية للشعب اليهودي في فلسطين .

٣ ـ الهجرة : اخذا بعين الاعتبار ان تطور البروليتاريا

اليهودية في فلسطين ونموها يتوقف على هجرة قوى الانتاج العاملة ، فان الحزب يدعو الى مقاومة جميع التيارات التي تعاكس الهجرة اليهودية، ويدعو المؤسسات اليهودية الاجتماعية (المنظمة الصهيونية العالمية ومنظمة فلسطين اليهودية الاستعمارية JCA) الى انشاء المرافق والمؤسسات الضرورية لتنظيم هذه الهجرة .

٤ ـ المؤتمر الصهيوني : من اجل فلسطين ، ولمصلحة العمل فيها، سيحضر الحزب المؤتمر الصهيوني العالمي وسيرسل مندوبين خاصين عنه، منفصلين عن مندوبي الاحزاب الاخرى».

كذلك دعا البرنامج الى الانضمام للاممية الثانية والى تأسيس النقابات العمالية وللصراع ضد المنظمات الخيرية اليهودية التي بدأت باستعمار اسرائيل في اواخر القرن التاسع عشر ، كما دعا الى ارساء الديموقراطية في المؤسسات اليهودية الموجودة آنذاك (٢٩) .

نرى في هذا البرنامج المرحلية البوروشوفية بشكلها الكلاسيكي مزادا عليها مسحة فلسطينية ناتجة عن بداية رؤية الصهيونية الماركسية من خلال اطار عملي ، سياسي واستيطاني . هذه النظرة الاكثر عملية اوجبت النزعة البراغماتيكية التي شددت على « الحالات الافرادية للصراع الطبقي » والتي كان لا بد ان تستعمل لتحوير الصراع الطبقي او نسيانه كلما تعارض مع البرنامج الادنى ، اي كل ما تعارض مع التحالف « المؤقت » مع البورجوازية اليهودية . الا ان هذه المرحلية ، التحالف مع البورجوازية في سبيل تحقيق السيادة السياسية لليهود في فلسطين ، ليس من شأنها الا ان تسخر الاشتراكية هذه لمصالح المرحلة الدنيا ، وان « تؤجل النضال

٢٩ ـ بروس ، المصدر نفسه ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .

الطبقي الفعلي – بل تؤجل كل معارضة للرأسمالية – الى غد ضبابي بعيد » (٣٠) ، مما سيؤدي حتما في النهاية اما الى النسيان التام للهدف الاقصى او الى قضاء البورجوازية عليه كهدف في خلال تحالفها مع اليسار في سبيل سيطرتها السياسية . وهنا نجد مجددا هيمنة « الفكرة » الصهيونية على حساب كل شيء آخر ، هيمنة طاغية مستبدة تتوخى تسخير كل شيء مهما كان لها .

هذا من ناحية المرحلية ، اما البند الذي يقضي «بالكفاح ضد المنظمات الخيرية اليهودية » فهو البند الذي يعمل على ايجاد العمل للمهاجرين اليهود وتثبيت ارجلهم نهائيا في الارض . فان معارضة هذه المنظمات ، التي كانت تستعمل اليد العاملة العربية ، انما ستوفر هذه الاعمال لليهود وسوف تبعد العرب عن المناطق هذه ، فهم لن يجدوا فيها عملا . ومن هنا الارتباط مع المنظمة الصهيونية العالمية الضروري: فهي ستوفر الاراضي الجديدة وستساعد الهجرة وتمولها ، كل هذا بدون مقابل ، وانه اما من السذاجة الشديدة او من النفاق الواضح ان يظن قادة عمال صهيون انهم بعد وصولهم الى المرحلة الدنيا وتحقيقها ، سيستطيعون السير قدما نحو تحقيق الهدف الاقصى .

وقد عمل « عمال صهيون » على ايجاد تنظيمات للهجرة خاصة بهم في فلسطين ، ولتمويل هجرة اعضاء احزابهم في اوروبه واستمالة الحزبيين وتوطينهم . كل هذا كان يحدث بواسطة « الصندوق القومي اليهودي » الذي اسسه عمال صهيون عام ١٩١٣ ، وكانت تموّله المنظمة الصهيونية العالمية

٣٠ – ناثان واينستوك : اسرائيل والصهيونية والصراع الطبقي . يشير واينستوك هنا الى « الحارس الفتى »، الا ان قوله ينطبق على « عمال صهيون » ايضا .

كما كان يمول بجمع التبرعات من الاشتراكيين الصهيونيين في اوروبه والولايات المتحدة . وقد اسس عمال صهيون مكتبا للتوظيف وشركة المقاولات عملت بشكل رئيسي على تأسيس الحركة التجارية بين تل ابيب ويافا وحيفا (٣١) . وانه لمن الجدير بالذكر ان هذه الخدمات ، من مساعدة على الاستيطان والتوظيف وما الى ذلك ، لم تكن ممكنة لغير اعضاء حزب « عمال صهيون » . وهذه ظاهرة عامة بين الاحزاب الاسرائيلية وهي جديرة بالاهتمام . فان لكل حزب من الاحزاب مكتبا للتوظيف وشركة للبناء والاسكان ومكاتب للتسليف الخ ... وهذا ما يجعل الفرد الحزبي معتمدا على حزبه اعتمادا كاملا في مرافقه الحياتية ، فالحزب يؤمن له العمل والمسكن والتعليم والتأمين الى غير ذلك مما سيحتاجه (٣٢) ، وهذا يشكل احد الاسباب التي تسهل البيروقراطية — فان انسحاب احد من الحزب لخلاف سياسي سيؤدي الى حرمانه من كل ما سلف ذكره ، كما ان هذه النشاطات الحزبية تجذب اللاحزبيين للانضمام للاحزاب المختلفة للاستفادة منها ، وهذا يفسر غزارة الحياة الحزبية في اسرائيل ، والمنافسة الحزبية الشديدة فيها. والسبب في هذا هو ان الاحزاب بدأت كحركات اجتماعية شاملة لا كأحزاب سياسية بحتة ، فقد كان المهاجرون الجدد بحاجة الى العمل والمسكن ، ولم تكن هناك سلطة مختصة لتقوم بهذه الاعمال ، مما دعا الاحزاب ان تحمل هذه المسؤوليات على عاتقها .

بالاضافة الى عمال صهيون والعامل الفتى ، كانت هناك فئات يسارية اخرى بين يهود فلسطين ، وعلى راسها « الحارس الفتى » (هاشومير هاتزائير) . تأسست هذه المنظمة في اوائل

٣١ — برويس ، المصدر نفسه ، ص ٣٨ — ٣٩ .
٣٢ — برنشتاين : السياسة الاسرائيلية ، ص ٥٥ .

هذا القرن في بولنده كحركة للشباب ولتدافع عن الجاليات اليهودية هناك ابان المذابح التي قد تتعرض لها ، ومن هنا اسم الحارس (هاشومير) . انتقلت الى فلسطين مع مهاجريها الذين انشأوا منظمة الحارس في العام ١٩٠٩ على نطاق واسع لحماية المستعمرات من الهجمات والسرقات الممكنة ، كما اسست بعض الكيبوتزات التي تعتبر مثالا للكيبوتزات الاخرى (٣٣) . كانت ماركسية من اكثر اليسار الصهيوني تعلقا بماركسيتها شديدة الانضباط ودقيقة التنظيم ، وكان نفوذها اكبر بكثير من نسبتها العددية ، كما كانت كثيرة الاعتماد على الكيبوتز في العمل السياسي .

الى جانب « الحارس الفتى » ، تأسست جماعة «العمل» (هاعفودا) - (التي مهددت فيما بعد للكيبوتزات) على اسس شيوعية (٣٤) . ثم كانت هناك «منظمة العمال الزراعيين» التي كانت منظمة شبه نقابية غير تابعة لاي من الاحزاب ، الا انها كانت مسرحا للصراع العنيف على السلطة بين « عمال صهيون » و « العامل الفتى » (٣٥) .

الاتحاد

وقد ادى هذا الجو المتعدد الاحزاب والتنظيمات التي كانت تقوم بانشاء مرافق حياتية منفصلة ، والتي كان كل منها يحاول بناء الوطن القومي اليهودي بطريقته الخاصة من خلال تنظيماته الاساسية ، التعليمية والاستيطانية وغيرها ، وعلى حساب غيره ، ادى الى التنافس بين الاحزاب الكثيرة مما سبب تأخرا بدلا من التقدم الاستيطاني الذي كان يبغيه

---

٣٣ - باين ، المصدر نفسه ، ص ٧٧ .

٣٤ - برويس ، المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

٣٥ - المصدر السابق ، ص ٥٦

هؤلاء ، ودعا هذا برل كاتزنلسون (١٨٨٧ - ١٩٤٤) ، الذي كان من قادة منظمة العمال الزراعيين (٣٦) ، الى القول بان الاهداف في هذه المرحلة يجب ان تكون مشتركة - تحقيق الصهيونية - اما الصراع السياسي والايديولوجي فليس من شأنه الا ان يعرقل الوصول الى هذا الهدف ، ثم دعا الى تصفية الخلافات الهامشية والعمل الموحد على تحقيق الفكرة الصهيونية.

وقد لاقت هذه الدعوة ترحيبا من كثير من الاوساط الصهيونية ونوقشت بشكل واسع ، خصوصا مع توقع وصول دفعة جديدة من المهاجرين على اثر اعلان وعد بلفور (١٩١٧). فلو بقيت حالة التناحر السياسي كما هي ، لتنافس كل من الاحزاب على اجتذاب المهاجرين الجدد وعلى توطينهم من خلال المنظمات المتنافسة ، ولكان في ذلك عرقلة عملية الاستيطان، وقد كان المطلوب لاستيعاب هؤلاء المهاجرين تنظيما مركزيا موحدا يعمل حسب خطة استيطانية موحدة .

وبالفعل، انشئت لجنتان للنظر في امكانية وكيفية توحيد الاحزاب ، كانت الاولى مؤلفة من مندوبين عن عمال صهيون ، والعامل الفتى ومنظمة العمال الزراعيين، والاخرى من مندوبين عن المنظمات الزراعية الثلاث التي لم تنضم الى منظمة العمال الزراعيين . وفي اجتماعات هذه اللجان التحضيرية ، اعلن مندوبو « العامل الفتى » بان الاتحاد التام وازالة المعالم الحزبية المستقلة امر غير وارد وغير مرغوب به ، وان نوع الاتحاد الذي كانوا يتوخونه هو التوحيد في المجالات غير السياسية ، كالهجرة والتعليم والاسكان والى ما ذلك من مرافق ضرورية لاستيعاب المهاجرين .

---

٣٦ - باين ، المصدر نفسه ، ص ٢٥٦ . اصبح كاتزنلسون محررا لدافار (جريدة الهستدروت) كما اسس دار النشر التابعة للهستدروت .

تم عرضت اللجنة التحضيرية الرئيسية مشروعا لانشاء « اتحاد العمل » (احدوت هاعفودا) على اسس نقابية ، وصوتت اللجنة بجانب هذا المشروع بالاجماع وبامتناع « العامل الفتى » عن التصويت . والحق هذا القرار بمؤتمرات للاحزاب المختلفة ولمنظمة العمال الزراعيين ، ثم بالمؤتمر العام الذي كان المؤتمر التأسيسي لأتحاد العمل في مستعمرة بتاح تكفا في ربيع ١٩١٩ (٣٧) .

خلال هذا المؤتمر ، اعترض مندوبو « العامل الفتى » على مشروع الاتحاد هذا وقالوا بان الشكل النقابي الخارجي انما يخفي كون « اتحاد العمل » حزبا سياسيا قبل كل شيء وان في هذا اختفاء للمعالم الحزبية المميزة ، كما دعوا مندوبي منظمة العمال الزراعيين الى عدم الانضمام للاتحاد والى البقاء كمنظمة نقابية غير سياسية مهتمة بشؤون الهجرة والاستيطان. ورد مندوبو عمال صهيون على ذلك بقولهم بانهم مقتنعون بضرورة اتحاد الناحيتين من النشاط الحزبي ، الاجتماعية والسياسية ، وان على الاحزاب المختلفة ان تحل نفسها في بوتقة الانصهار هذه ، اتحاد العمل (٣٨) . على اثر هذا ، اعلن مندوبو العامل الفتى عن عدم استعداد حزبهم للانضمام لاتحاد العمل ، وانسحبوا من المؤتمر . ومن الجدير بالذكر ان اسباب انسحابهم هذا هي ، بجانب حب المحافظة على انفسهم كمنظمة مستقلة ــ الشيء المتأتي عن صفتهم الانعزالية السالفة الوصف ــ السبب الثاني هو ان معظم اعضاء عمال صهيون كانوا من دعاة استعمال اليديشية بدلا من العبرية ، وقد خاف العامل الفتى من انصهاره في محيط اكبر منه يتكلم اليديشية وبذلك يناقض اقدس مقدساته . ومن الجدير بالذكر ايضا أن

---

٣٧ ــ برويس ، المصدر نفسه ، ص ٥٧ .

٣٨ ــ المصدر السابق ، ص ٥٨ .

كاتزنلسون ، الذي كان من دعاة اللغة العبرية ، انضم الى اتحاد العمل اقتناعا منه بانه سيؤثر على تشجيع عمال صهيون للغة العبرية من الداخل (٣٩) .

بهذا الشكل اصبح « اتحاد العمل » مجرد اسم جديد لعمال صهيون . بيد ان المنظمة هذه اصبحت اقوى بكثير مما كانت عليه في البداية ، وذلك بعد امتصاصها لمنظمة العمال الزراعيين . الا ان انسحاب العامل الفتى من المؤتمر قوى الخلافات الموجودة اصلا بينه وبين عمال صهيون ، الذي حاول امتصاصه كما امتص منظمة العمال الزراعيين . فبعد امتصاصه للمنظمة هذه وشعوره بقوته وسلطته المتزايدة ، اخذ اتحاد العمل يعتبر نفسه الحركة الاكبر عدديا بين الحركات السياسية اليهودية في فلسطين ، وبالتالي الحركة الرائدة التي ستبني مستقبل فلسطين ، وزاد ذلك من حدة الخلاف بينهما وبين العامل الفتى ، الذي انشأ منظمات اجتماعية على غرار منظمات اتحاد العمل ومنافسة لها ، وذلك في سبيل بناء مستقبل فلسطين اليهودية على طريقهم الخاصة ، اي ببناء عدد كبير من المستعمرات الصغيرة الشديدة التنظيم ، معارضين بذلك رأي اتحاد العمل ، الذي شدد على الكمية لا على النوعية ، واراد بناء العدد الصغير من المستعمرات (٤٠) . وهكذا اصبح هناك مكتبان مركزيان للتوظيف وشركتان للبناء والى ما ذلك من مؤسسات متنافسة ، ثم حاول بعض المهاجرين ان يؤسسوا منظمة اخرى تقوم بنفس النوع من النشاط الاقتصادي والاجتماعي لتنافس نشاطات كل من اتحاد العمل والعامل الفتى ، مما دعا هذه الفئة الى تأسيس حزب سياسي يساري جديد (٤١) .

---

٣٩ ــ باين ، المصدر نفسه ، ص ٢٥٧ .
٤٠ ــ المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .
٤١ ــ برويس ، المصدر نفسه ، ص ٥٩

وهنا بدأت مرحلة الهجوم الكلامي العنيف بين هذه الاحزاب بعضها ضد بعض ، على صفحات جرائدها . ومرة اخرى ، شعر المعنيون بضرورة التوحيد . فان الخلافات في الحقيقة لم تكن خلافات اساسية بقدر ما كانت خلافات جزئية. ذلك ان سبب وجود هذا العدد الكبير من التحزبات راجع الى اختلاف الاصول الاوروبية لهذه المنظمات ـ الاختلافات الجغرافية في اوروبه التي كان لا بد وان ينم عنها بعض الاختلاف الحضاري ـ واهم دليل على جزئية هذه الخلافات وثانويتها هو امكانية الاتحاد . وهذا ما حصل .

بعد هذه الموجة العنيفة من الهجوم الصحافي وردة الفعل تجاهها والشعور بضرورة الاتحاد ، برزت هناك مشاريع عديدة لتحقيق الاتحاد هذا وطرحت على بساط المناقشة العامة ، وكانت اهم نقطة التقاء بين المشاريع هذه هي انشاء منظمة نقابية غير سياسية تعمل على الاهتمام بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية ، من هجرة واسكان وتعليم وما الى ذلك ، بشكل موحد وشامل . ثم دعا اتحاد العمل الى قيام انتخابات عامة في سبيل تحقيق هذا ، بينما دعا العامل الفتى الى اقامة لجان المنظمة الشاملة هذه على اساس المساواة بين الحزبين . وهذا يرينا احد اهم نقاط الخلاف بينهما ، خوف العامل الفتى من ان يبتلعه اتحاد العمل الذي كانت قوته في ازدياد يوما بعد يوم .

وفي غمار هذا النقاش ، وضع جوزف ترمبلدور Trumpeldor (١٨٨٠ ـ ١٩٢٠) ، الذي كان « مثلا اعلى » للمهاجرين اليهود ، وضع برنامجا بيّن فيه ان فشل محاولة التوحيد الاولى كان بسبب دعوتها الى حل الاحزاب وبسبب محاولة اتحاد العمل (عمال صهيون) امتصاص بقية الفئات ، والدليل على ذلك ، اي على كونه حزبا سياسيا لا منظمة نقابية ، هو انضمامه الى الاتحاد العالمي لعمال صهيون بدلا من انضمامه

للاتحاد العالمي لنقابات العمال . وقد دعا ترمبلدور الى محاولة جديدة للتوحيد ، بحيث تكون المنظمة الجديدة منظمة نقابية قائمة على الانتخابات العامة ، على ان لا تحل الاحزاب الموجودة. اما وظيفة المنظمة الجديدة هذه ، فهي تنظيم البنيانات الاقتصادية والاجتماعية ، وتوحيد وتركيز عمليات التوظيف والاسكان والتأمين الصحي ، وتأسيس بنك عمالي . اما الامور التي لا يمكن الاتفاق عليها ، فيجب ان تترك للاحزاب المختلفة للبت بامرها افراديا . كما دعا الى تأسيس نقابات مهنية على اساس غير حزبي (٤٢) .

قوبل هذا البرنامج بكثير من الترحيب ونوقش بحماسة بالغة ، لانه كان يمثل ضرورة اكيدة بالنسبة للاستعمار الصهيوني في فلسطين ، وتحقيق هذا الاستعمار بشكل الدولة اليهودية هو الهدف الذي يطغى على اي اعتبار آخر ، والطريق الوحيد لتحقيق هذا الهدف هو الهجرة والاستيطان وبناء بنيان اقتصادي واجتماعي كامل وقوي يسيطر على الارض سيطرة تامة ، ثم ان الطريقة المثلى والاكثر فعالية لبناء هذا البنيان هو بواسطة هيئة مركزية تعمل بموجب خطة شاملة بعيدة المدى وموحدة ، وبسيطرة هذه الهيئة التامة على اية هيئة اخرى تعمل في الحقل نفسه . فالدعوة الى انشاء هذه الهيئة المركزية ، وانشاء هذه الهيئة الفعلي ، انما يبيّن المرحلة التي وصل اليها الاستيطان الصهيوني في فلسطين: فقد كانت الفترة ١٩٠٥ ــ ١٩٢٠ فترة تجربة وتمهيد ، فترة انشاء مؤسسات تعمل على تخطيط الدولة اليهودية تخطيطا اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، وما الدعوة الى انشاء هيئة مركزية في العام ١٩٢٠ الا انهاء المرحلة هذه نهائيا بالوصول الى الشكل التنظيمي الاساسي والموحد الذي عليه قام العمل لبناء الدولة

٤٢ ــ المصدر السابق ، ص ٦٠

اليهودية . (وهنا يظهر دور اليسار الصهيوني في العمل الصهيوني العام : فهو العامل الاول في بناء البنيان الصهيوني الداخلي ، العمل الاساسي الذي تكمله المنظمة الصهيونية العالمية على الصعيد الدبلوماسي والمالي) .

انعقد المؤتمر التأسيسي لهذه المنظمة المركزية ، وأعلن تأسيسها باسم « الاتحاد العام للعمال اليهود في فلسطين » او الهستدروت، وذلك في حيفا ، في ٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ ، كما انتخب دافيد بن جوريون امينا عاما للمنظمة . وتألف المؤتمر التأسيسي من سبعة وثمانين عضوا منتخبا من قبل ٤٤٣٣ عاملا يهوديا ، وعلى الشكل التالي (٤٣) :

اتحاد العمل	٣٧	عضوا
العامل الفتى	٢٦	عضوا
الحارس الفتى	١٦	عضوا
يسار عمال صهيون	٦	اعضاء
غيرهم	٢	عضوين
المجموع	٨٧	عضوا .

وبهذا تمّ دمج جميع النقابات داخل الهستدروت وجعله ابا الاتحادات النقابية ، ونقابة النقابات، كما اخذ الهستدروت على عاتقه القيام بكل النشاطات الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تقوم بها الاحزاب : اسس اقساما للمقاولة ، وللشؤون الثقافية ، ومصرفا عماليا ، وجمعيات تعاونية وقسما للتأمين الصحي وقسما للتأمين على الحياة، ومكتبا للهجرة والتوظيف .

وكان الهستدروت ، اسميا ، منظمة لا سياسية . ولكنه اصبح بالفعل ميدانا للصراع السياسي في فلسطين اليهودية . فقد كانت لمقرراته تأثير سياسي في معظم الحالات ، بينما

٤٣ ـ المصدر السابق ، ص ٦١ .

كانت له مصالح واسعة في جميع ربوع فلسطين ، وبالتالي مصالح سياسية واسعة . وبعدم وجود اكثرية مطلقة لاي من الاحزاب داخل الهستدروت ، ادى هذا الى ظاهرة الائتلافات المزمنة في السياسة الاسرائيلية ، وما تنطوي عليه هذه الائتلافات من ضرورة المساومة وبالتالي تقديم التنازلات عن اشياء جوهرية في كثير من الاحوال ، كقول بن جوربون عن الصراع الطبقي في الهستدروت بانه ملازم للصراع القومي ، وبانه لا مكان في الهستدروت « للنزعات الانانية الضيقة التي لا تتلاءم مع مصلحة الشعب ككل » (٤٤) .

بيد ان اهم تأثير سياسي لتأسيس الهستدروت هو وجود اتحاد العمل كأكثرية في داخله ، وان لم تكن اكثرية مطلقة. فان هذا المركز القيادي، الذي ما زالت تتمتعبه ، حتم وجود اتحاد العمل كقطب يحاول جذب الفئات الاخرى اليه من اجل الوصول الى تصويت اكثرية مطلقة على مشاريعه ومقرراته. وهذا حتم عليه الدور الوسطي الذي يجتذب ما حوله، وبالتالي دور مساوم مساومة متواصلة كما حمله دور قائد وسطي .

اليسار الصهيوني والمنظمة الصهيونية العالمية

كما قلنا قبلا ، كانت النقطة الاولى في برنامج بازل تدعو الى توطين اليهود في فلسطين « بالوسائل الملائمة » . ولما كان هدف الاستعمار الصهيوني في فلسطين ليس الهدف الاستعماري الاستيطاني التقليدي ، حيث توجد طبقة ارستقراطية من المستعمرين تستغل عامة الشعب المحلي ، كاستعمار فرنسه للجزائر مثلا ، بل كان استيطانا بقصد استعمار الارض ككل وطرد من فيها والحلول في مكانهم ، كان الاستعمار العمالي الذي يعتمد الجماعية في الملكية وفي العمل،

٤٤ ــ نقلا عن لفنبرغ ، المصدر نفسه ، ص ٥٥

اكثر ملائمة من الاستعمار رأس المالي الخاص الذي لا بد وان يعتمد على قوانين السوق العادية كاستئجار اليد العاملة الارخص ــ العربية ــ وبالتالي عدم امكان هذا النوع من الاستعمار من غرس نفسه غرسا محكما في الارض . لذلك ، اصبح وجود طبقة عاملة يهودية ضرورة اساسية لبناء مجتمع يهودي كامل بطبقاته وبنيانه الاجتماعي التام والمستقل .

ولما كان المهاجرون اليهود الجدد ممن تأثروا بالافكار الاشتراكية وارادوا بناء مجتمعهم الجديد على اسس شبه شيوعية ، وبما ان الحياة الجماعية بشكل شبه شيوعي هي الحياة التي تجعل مؤسسة كالمزرعة الجماعية ممكنة ، وبما ان المزرعة الجماعية الخالية من الملكية الفردية ــ الكيبوتز ــ هي المزرعة الاقل كلفة مالية ، وبما ان المعيشة في جو جماعي ينمي الروابط بين افراد هذا الجو، كما يساعد على تفاعلهم وصهرهم بعضهم مع بعض ويساعد على نشوء العلامات الحضارية والثقافية الجديدة بينهم ، بسبب كل هذا ، كان المجتمع ذو الخلية الاشتراكية الطريقة الاكثر « ملائمة » لاستعمار الصهيونية لفلسطين . وكانت هذه لا شك نظرة بورجوازيي المنظمة الصهيونية العالمية الى اشتراكية اليهود في فلسطين وسبب قبولهم بها . فالعمل الصهيوني ، كما قلنا قبلا ، يدور على جبهتين : جبهة التعمير الداخلي باكثر الوسائل ملائمة ، وجبهة العمل الدبلوماسي ، وكانت هاتان العمليتان منسقتين تنسيقا جيدا تشكلان جزئين من جسم واحد ، جزئين متصلين بروابط عضوية ضرورية .

هذا بالنسبة للمنظمة الصهيونية العالمية . اما افراد اليسار الصهيوني في فلسطين نفسها ، فلا بد وانهم ادركوا اعتمادهم التام على الاشتراكية من الناحية المادية ، بيد ان هذا الاعتماد وما يليه من تبعية ضرورية لم يكن بالشيء المفجع ،

فقد كان هذا التحالف ضرورة في سبيل تحقيق الفكرة الصهيونية . وبهذا الشكل ، اضحى البرنامج الاقصى ـ الاشتراكية ـ البرنامج الادنى في سبيل تحقيق الصهيونية.

على اثر اعلان وعد بلفور (١٩١٧) ، ادركت المنظمة الصهيونية العالمية ان عليها ان تبدأ بالتفكير في كيفية استعمار فلسطين . كان وعد بلفور النصر السياسي والدبلوماسي الاول والاهم للمنظمة ، وكان عليها ان تبدأ بالتحضير لنصرها على الصعيد العملي الفعلي في فلسطين . ففي مؤتمرها السنوي للعام ١٩٢٠ (في لندن) طرح موضوعان رئيسيان للبحث : الوسيلة الاكثر ملائمة التي يجب على الاستيطان في فلسطين ان يتبعها ليصل الى افضل النتائج، ووسيلة تمويل الاستيطان هذا (٤٥) .

ـ كان هناك خلاف في اول الامر حول النقطة الاولى بين مندوبي الاحزاب الاشتراكية وغيرهم (كان هناك ٤١ مندوبا عماليا مقابل ٥١٢ مندوبا غير عمالي من الاحزاب غير الاشتراكية) (٤٦) . فقد اصرت الوفود العمالية بان الملكية الخاصة للارض في فلسطين لن تجدي نفعا ، لان هذا سيؤدي الى وجود مضاربة في شراء الاراضي وبيعها مما سيزيد في اسعارها وسينتج عن هذا تعقيدات هم في غنى عنها ، كما ان الملكية الخاصة في الاراضي ستجعل اصحابها يسيّروها حسب قوانين السوق العادية وباستعمال اليد العاملة العربية ، وكل الذي ليس هو في صالح الصهيونية . على هذا الاساس ، طالبت الوفود الاشتراكية بان يكون « الصندوق القومي اليهودي » هو الهيئة الوحيدة التي يسمح لها بشراء الاراضي وبتأجيرها .

---

٤٥ ـ باين ، المصدر نفسه ، ص ٢٦٣ .
٤٦ ـ لفنبرغ ، المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .

عارض هذا الطلب اغلبية الاعضاء ، في البداية ، وعلى رأسهم المندوبون الاميركيون ، الذين اضحوا خلال الحرب العالمية الاولى المولين الرئيسيين للعمل الصهيوني ، وبعد اخذ ورد ، وصل المؤتمر الى اتفاق حول صلاحيات الصندوق القومي اليهودي وشكل الملكية الخاصة . فقرر المؤتمر دعوةالصندوق القومي لشراء الاراضي بشكل رئيسي ، وسمح في الوقت نفسه للافراد بشراء الاراضي ، ولكن على شرط ان « كل الاملاك التي تستعمل للاستيطان اليهودي يجب ان تصبح ملكية عامة للشعب اليهودي » (٤٧) ، الشي الذي شكل عمليا مانعا كبيرا لشراء الاراضي من قبل الافراد . وبهذا الشكل حلت الضرورة الموضوعية وملاءمة الاشتراكية للاستيطان ، حلت محل الاسس الاقتصادية اللبرالية التي كان يدعو اليها بورجوازيو المؤتمر . وانه ليس بغريب ان تقبل البورجوازية اليهودية بالاسس الاشتراكية بينما تقبل الاحزاب الاشتراكية التحالف مع هذه البورجوازية ، وبسيطرة هذه البورجوازية – ماليا – عليها . فالهيمنة المالية البورجوازية ضرورية لانها المصدر الاساسي للمال ، بينما كانت الاشتراكية التي برهنت عن فعاليتها في السنين ما قبل ١٩٢٠ ، وبالتالي عن ملائمتها التامة ، الهدف الرسمي للاستيطان الصهيوني .

بالاضافة الى ما سلف ذكره ، قرر المؤتمر تأليف لجنة لتخطيط العمليات الاستيطانية ، لانتقاء مراكز الاستيطان على اسس تسمح باستغلال افضل الاراضي واكثرها قابلية للدفاع عن نفسها ، كما أسس «صندوق فلسطين التأسيسي» ليمول عمليات الهجرة والاستيطان ، بعد ان كانت هذه العمليات مبعثرة تمولها صناديق صغيرة مختلفة (٤٨) .

---

٤٧ – باين ، المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ – ٢٦٦ .

٤٨ – المصدر السابق ، ص ٢٦٨ .

الفصل الخامس

مرحلة البناء : ١٩٢١ – ١٩٤٨

كانت هذه المرحلة ، ١٩٢١–١٩٤٨ ، مرحلة بناء الوطن القومي اليهودي بالشكل النهائي ، وكان شكل البناء الذي تم اعداده خلال هذه الفترة هو الشكل الذي اصبحت عليه دولة اسرائيل والشكل الذي لا يزال . وعلى حد قول برنشتاين ، ما كان على موظفي الهيئات الادارية التي بنيت في هذه الفترة في العام ١٩٤٨ الا نقل ملفاتهم من مبنى الى مبنى آخر تحت اسم مختلف ، والاستمرار في العمل كأن شيئا لم يكن (١) . كانت هذه الفترة فترة البناء على الاسس التي وضعت في ١٩٠٥ – ١٩٢٠ من تنظيمات نقابية وحزبية واقتصادية واجتماعية . فقد كانت الفترة الاولى فترة تجارب انتهت بانشاء اكثر الاشكال التنظيمية ملائمة .

يمكن تقسيم هذه الفترة ، سياسيا ، الى فترتين رئيسيتين : الفترة الاولى وتمتد الى ١٩٣٩ ، والفترة الثانية ما بين ١٩٣٩ و ١٩٤٨ . الفترة الاولى كانت فترة تقدم الاهداف الصهيونية بمساعدة سلطات الانتداب البريطاني ، تقدم الجهاز التنظيمي الصهيوني الداخلي ، كنتيجة للتقدم الذي كانت تحرزه الدبلوماسيةالصهيونية مع بريطانيه . اما الفترة الثانية ، فهي فترة الخلاف بين بريطانيه والصهيونية

---

١ – برنشتاين ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .

وتحول الصهيونية للولايات المتحدة . وحديثنا في هذا الفصل سيدور حول دور اليسار الصهيوني في البناء السالف الذكر ـ الدور الذي له اهمية كبرى ، خصوصا وان اليسار كان ، منذ البداية ، القوة الرئيسية في الداخل وقد اصبح فيما بعد القوة الرئيسية على الصعيد الدبلوماسي ايضا . وبالتالي ، فانه علينا ، لدراسة اليسار الصهيوني من جميع جوانبه ، ان نتطرق له على هذين الصعيدين . الا اننا لن نلجأ للتقسيم التاريخي السالف الذكر ، بل اننا سننظر لوضع اليسار من خلال مؤسساته المختلفة ، فان البنيان الشكلي للدولة اليهودية الذي بناه اليسار الصهيوني لم يتأثر بهذه التغييرات السياسية الخارجية ، بل ان هذه البنيانات استعملت كأسس لعدم الاعتماد على المؤثرات الخارجية ، والشيء الوحيد الذي تأثر بتغيير السياسة الخارجية هو شيء بسيط من حرية العمل ، ومن اهم هذه البنيانات جهاز الهستدروت الضخم ، الذي لا يزال يشكل « دولة داخل الدولة » حتى يومنا هذا . اما المؤسسات التي كانت تهتم بالبعد الاخر للعمليات الصهيونية ـ البعد السياسي والدبلوماسي ، فهي ما سنتحدث عنه الان .

على اثر وعد بلفور ، وفي العام ١٩١٨ ، قررت المنظمة الصهيونية العالمية ارسال لجنة لتفقد الحالة في فلسطين ولدراسة « الوسائل الواجب استعمالها لتطبيق وعد بلفور » . تألفت هذه اللجنة من حاييم وايزمان ، ليفي بيانكيني وسيلفان ليفي . وعندما وصلت هذه اللجنة الى فلسطين ، اخذت على عاتقها مهام مكتب فلسطين . وكانت المهمة الرئيسية لهذه اللجنة ، العمل كصلة للوصل بين الجالية اليهودية في فلسطين وبين السلطات البريطانية هناك ، ثم تغير اسم هذه اللجنة في العام ١٩٢١ الى « لجنة فلسطين التنفيذية » . وقد كانت هذه اللجنة ، حتى ذلك الحين ، تشكل مجلسا شبه حكومي

يقوم بادارة شؤون اليهود (٢) ، وكان لوايزمان سلطة كبيرة على اليسار الصهيوني آنذاك ، اذ كانت هذه اللجنة بمثابة « لجنة رقابة » ذات صلاحيات واسعة ، تعمل على توجيه السياسة اليهودية هناك . وكانت لهذه اللجنة « التي تتمتع بسلطة سياسية كبيرة ، كانت لها سلطة اكبر من سلطة الحكومةالشرعية» (٣) . وقد جرى هذا التغيير لانه في المؤتمر الصهيوني للعام ١٩٢١ في مدينة كارلسباد ، تقرر بناء جهاز خاص لبناء « الوطن القومي اليهودي » ، واعيد تنظيم المنظمة الصهيونية العالمية من اجل استيعاب هذا الجهاز الكامل . تألف هذا الجهاز من « لجنة فلسطينالتنفيذية » ـ او الوكالة اليهودية ، كما اسماها صك الانتداب البريطاني ـ وكان لها عدة دوائر ، اهمها الدائرة السياسية التي كان عليها ان تنفذ الخطوط العريضة السياسية التي كانت تضعها لجنة لندن التنفيذية ، وكانت هذه اللجنة صلة الوصل بين يهود فلسطين وسلطات الانتدابالبريطاني ، كما كانت سلطةالمراقبة المركزية على العمل التنفيذي الذي كان يقوم به يهود فلسطين . واهم الدوائر الاخرى ، الدائرة المالية ، التي كانت تجمع التبرعات من الخارج وتمول بها المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية التابعة ليهود فلسطين ، وعلى رأسها الهستدروت ، من خلال الصناديق السالفة الذكر (٤) .

هذا عن التنظيم التابع للسلطة المركزية في المنظمة

---

٢ ـ الان تايلور : تمهيد لاسرائيل ، ص ٣٠ و ٥٥ .

٣ ـ رسالة من شارلز كراين الى التايمز اللندنية ، ١٩٢٢/٦/٣٠ . نقلا عنمؤسسةالاسكو ، المصدر نفسه، الجزء الاول ص ٤٧٩ .

٤ ـ اسعد عبد الرحمن : المنظمة الصهيونية العالمية ،ص ٩٠ وما بعدها .

الصهيونية العالمية . اما السلطات التي كان عليهاالقيام بالحكم في الداخل ، فقد كان « المجلس المنتخب » السلطة العليا بين يهود فلسطين في الداخل ، وكان بمثابة مجلس نيابي . وكان هذا المجلس بدوره ينتخب « المجلس القومي » الـذي كان الحاكم الفعلي على الصعيد الداخلي والذي كان يقوم بالربط بين الوكالة اليهودية ويهود فلسطين ، وكان هذا المجلس شبه حكومة ، له (وزارات) مختلفة . وعلى الصفحة التاليـة صورة لهذه التنظيمات وعلاقتها (٥) .

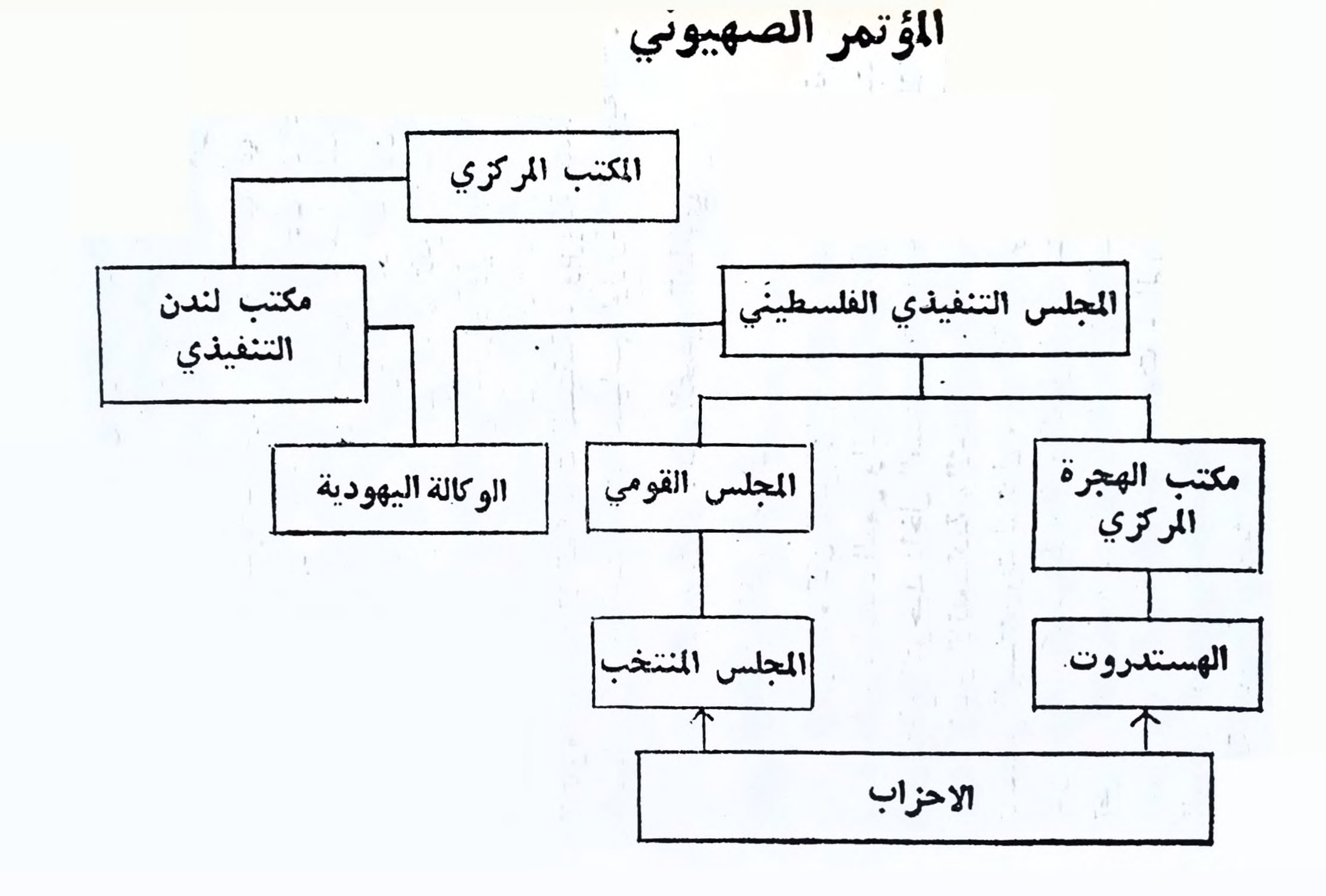
كان لليسار الصهيونـي النفوذ شبـه المطلق داخل فلسطين . فقد كان يسيطر على الهستدروت ، ففي انتخابات الهستدروت للعام ١٩٢٦ ، مثلا ، حصلت الاحزاب اليسارية مجتمعة على ٩٨،٨ ٪ من الاصوات (٦) ، كما سيطر اليسار على المجلس القومي الذي كان الحاكم السياسي الفعلي ليهود فلسطين ، فقد كان سكرتير هذا المجلس دافيد بن جوريون ومن اعضائهاسحق بن زفي وغيره من قواد « اتحاد العمل » ، وبهذا الشكل ، كان اليسار المسيطر على المجلس التنفيـذي الفلسطيني والمجابه الاول للوكالة اليهودية .

وكما نرى بوضوح في الرسم على الصفحة التالية، هناك تسلسل مباشر بين القوة الحزبية والسيطرة على المجلس التنفيذي، الذي كان يقوم بالشؤون الاقتصادية والاستيطانية والاجتماعية ، بينما كانت الوكالة اليهودية تقوم بالاعباء المالية والدبلوماسية. الا ان هذه الوكالة ، بسيطرتها على هذه المرافق المهمة، اصبحت المسيطر الاول على جميع مرافق العمل الفلسطيني ، وفي خلال تطورها تطورت الاجهزة الادارية التي حولها والتي لها علاقة فيها بشكل جعل العمل في هذه المرافق معتمدا اعتمادا شبه

٥ — نقلا عن تايلور ، المصدر نفسه ، ص ٤٣ (بتصرف) .

٦ — برويس ، المصدر نفسه ، ص ٧٦ .

المؤتمر الصهيوني



كلي على القرارات الصادرة من الوكالة ، وبالتالي اصبحت كل هذه الاجهزة ، من المجلس التنفيذي في لندن الى المجلس التنفيذي في حيفا ، تتلقى ارشاداتها وخططها من الوكالة اليهودية ، التي اصبحت الجهاز الاساسي في العمل الصهيوني . ولا غرو ، فقد كانت اداة التنسيق الوحيدة بين العمل الخارجي والعمل داخل فلسطين ، مما وضعها في موقف مركزي تسهل منه السيطرة على كلا الطرفين . وعلى حد قول برنشتاين ، « ... مع انه لم تكن هناك للوكالة اليهودية اية سلطة في النواحي التشريعية وفي جباية الضرائب ، الا انها اصبحت جهازا قوميا اداريا بحق ، واخذت تقوم بمهام لا تقوم بها عادة الا الحكومات المستقلة . وبزيادة حدة النشاط السياسي ، اصبحت شعبتها السياسية كوزارة للخارجية »(٧) .

القسم الاول : على الصعيد الداخلي

تطور العلاقات داخل اليسار

كما رأينا ، كان الحزبان اليساريان الصهيونيان الاقويان في فلسطين ، اتحاد العمل والعامل الفتى ، في منافسة مستمرة لم يستطع التوحيد داخل الهستدروت ان يحلها . فالخلافات حول الامور الاقتصادية والاجتماعية التي كانت دائرة قبل تأسيس الهستدروت لم تزل ، بل انتقلت الى خلافات داخلية كان لها اثر عكسي على تقدم العمل في الهستدروت اذ اخذت تعرقل العمل فيه . وادى هذا ، بالاضافة الى التنافس السياسي خارج نطاق الهستدروت ، الى اضعاف موقف اليسار الصهيوني تجاه سلطات الانتداب البريطاني وتجاه الوكالة اليهودية ، حيث اصبحت الوكالة تسخر البناء الداخلي في سبيل الدبلوماسية الخارجية ، وهذا ما ادى الى استياء

---

٧ — برنشتاين ، المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

عام بين يهود فلسطين ، استياء عبر عنه بشكل خلاف مزمن بين زعيم البناء الداخلي ، بن جوريون ، وزعيم الدبلوماسية الصهيونية ، حاييم وايزمان (٨) .

وكان سبب عدم زوال الخلاف وبروزه بالشكل الواضح الهدام هذا ، هو ان الاتحاد كان نوعا من الاتحاد الفدرالي ، حيث ان الفئات التي كانت مختلفة في البداية ظلت فئات مستقلة ، وكان بالتالي الحل الوحيد هو انجاز اتحاد كامل يدمج الحزبين دمجا سياسيا تنظيميا ، حيث تزول المعالم المميزة المستقلة وبالتالي تخف حدة الخلافات وتتحول الى خلافات داخلية يمكن التحكم بها والسيطرة عليها من قبل المركزية البيروقراطية . أي ان المطلوب هو اتحاد سياسي يكمل الاتحاد الاقتصادي ويعمل على استقراره واستمراره .

١ ــ الماباي

فضرورة تصفية الخلافات من اجل تحقيق الدولة الصهيونية ، وشعور اليسار الصهيوني بقوته الكامنة والتي يمكن تحقيقها باتحاده وبالتالي بالوحدة السياسية للقطاع الاقتصادي الداخلي ، وخصوصا في وجه سلطة الوكالة اليهودية ، كل هذا ادى الى نقاش مجدد حول امكانية الاتحاد السياسي . ولم يكن الاتحاد بصعب ، بل انه من طبيعة اليسار الصهيوني ان يصفي خلافاته اللاصهيونية في سبيل اتحاده من اجل تحقيق الفكرة الصهيونية . هذا النقاش ادى في النهاية الى تأسيس الماباي ، « حزب العمال اليهودي في فلسطين » ، وكانت اهم نقاط برنامجه ما يلي :

« ١ ــ ان حزب العمال اليهودي في فلسطين يعلن وحدة الحركة العمالية اليهودية الفلسطينية باتجاهاتها التاريخية ،

---

٨ ــ راجع القسم الثاني من هذا الفصل.

وبمحاولتها لاجتذاب الشعب اليهودي الى حياة جديدة في فلسطين كشعب عامل حر ، والذي يجب ان يركز نفسه في جميع مرافق العمل الانتاجي ، في المدينة وفي القريـة ، وليطور حضارته العبرية .

وفي علاقته الوثيقة مع الطبقةالعاملة في العالم في نضالها لانهاء الهيمنةالطبقية وانهاء جميع انواعالاضطهاد الاجتماعي ، وفي نضالها من اجل تحويل ملكية الطاقات الانتاجية الـى الطبقة العاملة ، بشكل حر يضمن المساواة .

٢ ـ سيكون الحزب حامل مشعل الصهيونية ومحقق اهدافها ، كما سيكون عضوا مواليا للحركة الاشتراكيـة العالمية .

سينضم الحزب الى المنظمة الصهيونية العالمية ولجميع مؤسساتها ، والى اممية العمال الاشتراكية ، والى التمثيل البرلماني اليهودي في فلسطين ...

يهدف الحزب الى جمع شمل العمال اليهود في فلسطين كبنائين يأخذون دورا مسؤولا في مختلف نشاطات الشعب الحيوية ، وفي كل المسائل التي تهم الحركتين الصهيونيـة والاشتراكية .

٣ ـ سيشجع الحزب جميع اعضائه للقيام بدور فعال في الهستدروت ، وسيهدف الى توعية اعضائه توعية صهيونية ـ اشتراكية ... وسيشجـع الحركة النقابية داخـل الهستدروت وسيناصر هـذا الاخير في دفاعـه عن المصالح العماليـة في القطاعات الاقتصـادية الخاصـة ، والعامـة والحكومية ، وفي نضاله في سبيل العمـل اليهودي ... وسيهدف الى قيادة الصراع السياسي لشعب وعمال فلسطين ولاقامة علاقات رفاقية مع العمالالعرب ليساعد على استمرار

العلاقات الطيبة بين الشعبين ، العربي واليهودي .. وسيهدف لبعث اللغة العبرية والتراث الحضاري العبري بين العمال اليهود ، ولتعليم الشباب اليهودي في فلسطين ... وسيعمل لزيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين ... » (٩) .

يشكل هذا البرنامج استمرارا لبرنامج « اتحاد العمل » مخففا بايديولوجية « العامل الفتى » ، وتظهر عملية التخفيف هذه في ناحيتين رئيسيتين ، هما توحيد البرنامج وتخفيف التحديد . وبتوحيد البرنامج اعني الغاء التفرقة بين البرنامج الاقصى والبرنامج الادنى ، تبعا لطلب « العامل الفتى » لان الالغاء هذا يلغي ضمنا الاعتراف بالصراع الطبقي ويبدل الطبقة بالامة ، وقبول « اتحاد العمل » بالغاء الصراع الطبقي بدون شك متأت عن تفاقم تغلب احد قطبي الاشتراكية الصهيونية ــ القطب الصهيوني ــ على الاخر ، وبروز النزعة الشوفينية الكامنة في داخل الحركة الصهيونية ــ من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ــ بشكل متزايد ، وهذا من جراء ضرورة التخلي عن الاشتراكية في سبيل تحقيق الصهيونية ، ومن وجود يهود فلسطين في وسط معاد . وان تذويب هــذه الخلافات اللاصهيونية في سبيل تحقيق الفكرة الصهيونية امر طبيعي . فالصهيونية هي القاسم المشترك الرئيسي الذي يجري خلال اليسار الصهيوني ككل ، كما ان طبيعة العمل الصهيوني في فلسطين تحتم وجود فئتين ــ يمينية ويسارية ــ فقط . فلو كان اليهود قوما متجانسا ولم يكونوا فئات مختلفة مجتمعة في فلسطين من جميع انحاء اوروبه « لوجد بين يهود فلسطين حزبان فقط : حزب محافظ وحزب عمالي » (١٠) . ومن هنا النزعة الاتحادية في اليسار الصهيوني .

---

٩ ــ برويس ، المصدر نفسه ، ص ١٠٠ وما بعدها .

١٠ ــ جوزف بادي : حكومة دولة اسرائيل ، ص ٤٢ .

وبتخفيف التحديد ، اعني صياغةالبرنامج خلال مفاهيم غير محددة قابلة لتفسيرات عديدة ولاعادة التفسير كلمادعت الحاجة ، وهذا ولا شك نابع عن زيادةقوة النزعة البرغماتيكية في « اتحاد العمل » التي ناسبت رفض « العامـل الفتى » « لميكانيكية » البرامج . « فأهداف الحـركة الصهيونية » و « العلاقات الرفاقية » قابلة لعدة تفسيرات . وهذه النزعة البرغماتيكية ناتجة عن ضرورة قيام اتحاد العمل بدور وسطي مساوم ، وذلك لكسب تأييد الفئات الباقية لمشاريعها المختلفة ولبقائها في هذا الدور الوسطي القيادي . وبرنامج مرن من هذا النوع يعطيه مجالا واسعا للمناورة وللمساومة . وان المدى الذي ساوم به الماباي مساومة مبدئية لمدهش ، فمثلا اتفق بن جوريون وجابوتنسكي (١١) على دمج الماباي Mapai بحزب جابوتنسكي التحريفي ـ الواقع في اقصى اليمين ـ وتسميته بالماباي Mabai ، وذلك في العام ١٩٣٤ (١٢)، ومع ان هذا التحالف لم يدم فترة طويلة ، الا انه يرينا المرحلة التي توصلت اليها الصهيونية بالتغلب على الاشتراكية . وبالاضافة الـى التنازلات الناجمة عن جمع العدد الاكبر من الفئات في داخله ، كان على الماباي ، كقائد شبه مطلق ليهود فلسطين ، ان يكيف نفسه في علاقته مع الاستعمار البريطاني ومع البورجوازية الصهيونية ، واضطر من جراء ذلك للتنازل عن رفضه لرأس المال الخاص ، كما اضطر ان يتنازل عن الكثير من علمانيته في

---

١١ ـ فلاديمير جابوتنسكي (١٨٨٠ ـ ١٩٤٠) ، مؤسس حزب التحريفيين الواقـع في اقصى يمين السياسة الصهيونية . اسس حزبه عصابة الارغون الارهابيـة التي قامـت بمجزرة دير ياسين ولها سجل حافل بالارهاب .

١٢ ـ بارزوهار ، المصدر نفسه ، ص ٥١ .

المسائل الدينية لارضاء الاحزاب الدينية (١٣) ، التي كانت عضوا في المجلس المنتخب وفي المجلس التنفيذي وفي الوكالة اليهودية .

فتأسيس الماباي ، اذن ، هو الاكتمال السياسي للنزعات التوحيدية داخل اليسار الصهيوني ، وكان الماباي بالتالي الجبهة السياسية للهستدروت ، حيث كانت له اكثرية على الدوام (١٤) . وبما ان تاريخ الهستدروت هو تاريخ بناء الشكل الاقتصادي والاجتماعي لدولة اسرائيل ، فان تاريخ الماباي هو تاريخ البناء السياسي لدولة اسرائيل ، من خلال علاقته بالاستعمار البريطاني ، وبالوكالة اليهودية وبسيطرته عليها .

٢ ــ يسار اليسار

لعل اوضح دليل على تطور اي حركةسياسية ــ ان كان هذا التطور متوجها نحو اليمين او نحو اليسار ــ هو ظهور معارضة داخلية تستند على الايديولوجية الاصلية . ولا يستثنى اليسار الصهيوني من هذا القانون ، فان اوضح دليل على انحراف اليسار الصهيوني نحو اليمين هو ظهور الفئات اليسارية التي تعارض هذا الانحراف ، فكلماانحرفت الاكثرية نحو اليمين ، بقيت فئة في الموقف الذي كانت الاكثرية قد تبنته قبلا ، وطالبت بالبقاء في هذا الموقف ، وانفصلت عن اكثرية الحزب .

---

١٣ ــ راجع ابراهيم العابد : الماباي ، ص ٥٠ وما بعدها لتنازلات الحزب . راجع ايضا الجداول٣ و ٤ و ٥ و٨ في نهاية المصدر نفسه. (راجع ايضا اسعد رزّوق : الدولة والدين في اسرائيل ، ص ٤٨ ــ ٥٤ ، كمثل جيد على تنازل الماباي عن علمانيته لاسباب ائتلافية).

١٤ ــ رولبانت : الماباي ، ص ١٠ .

وبدأت هذه النزعة لدى اليسار الصهيوني منذ بدايته كحركة سياسية فعلية . فعندما انشئت هذه الاحزاب في فلسطين ، اضطرت الى الاتجاه نحو اليمين تحت ضغوط متطلبات عملية الاستيطان الفعلية . بينما ظلت بعض الفئات من عمال صهيون في روسيه وبولنده متشبعة بالايديولوجية البورشوفية في طبيعتها الاستقطابية غير المتزنة ، ولم تتح لهؤلاء تطبيق هذه الايديولوجية على الصعيد العملي ، الشيء الذي اختبره عمال صهيون فلسطين ووصلوا من جرائه لحالة توازن ايديولوجي ـ التوازن الذي يجعل العمل الفعلي ممكنا ـ لم يتمتع به عمال صهيون شرقي اوروبه .

وظهر اول تباين بين الايديولوجية الاصلية وايديولوجية « الطريق الى الماباي » في فينه عام ١٩٢٠ ، وفي خلال المؤتمر الخامس للاتحاد العالمي لعمال صهيون ، وكان محور الخلاف هذا علاقة عمال صهيون مع بريطانيه ومع المنظمة الصهيونية العالمية . فكما قلنا ، وكما سنرى في القسم الثاني من هذا الفصل ، كان لاتحاد العمل علاقات وطيدة مع كل من الاستعمار البريطاني ومع المنظمة الصهيونية العالمية ، وكان يعمل على تقوية هذه العلاقات الضرورية للاستيطان الفعلي في فلسطين. مقابل هذا ، اصر عمال صهيون في روسيه وفئة صغيرة من عمال صهيون في فلسطين على وجوب الانسحاب من المنظمة الصهيونية العالمية والانضمام للكومنترن لاصرارها على الماركسية بجانب الصهيونية . وفي النهاية ، انفصلت هذه الفئات عن الاتحاد العالمي لعمال صهيون واسست منظمة « يسار عمال صهيون » ، بينما بقيت الفئات الاخرى ـ عمال صهيون في فلسطين وبريطانيه والنمسه والولايات المتحدة ـ في مكانها (١٥) .

١٥ ـ لفنبرغ ، المصدر نفسه ، ص ١٢١ .

كانت منظمة يسار عمال صهيون تعارض استعمال اللغة العبرية على اساس انها تدعو الى العودة للوراء ، وثابرت على استعمال اليديشية ، ومن الجدير بالذكر ان احدى الفئات في داخل يسار عمال صهيون انفصلت عن هذه المنظمة ، اذ دعت الى استعمال العبرية ، وبانفصالها انضمت للماباي (١٦) . وبقيت منظمة يسار عمال صهيون خارج المنظمة الصهيونية العالمية التي « تسيطر عليها البورجوازية » ، وفضلت ان تبقى « صامدة على مبادىء الصراع الطبقي ... والعمل يدا بيد مع البروليتاريا العالمية » (١٧) على حد قولها . بيد ان طلباتها بالانضمام للكومنترن رفضت مرارا في الفترة الواقعة ما بين ١٩٢٠ و ١٩٢٨ ، فاصبحت من جراء ذلك معادية للشيوعية بشكل عنيف . بيد انها بقيت في الوقت نفسه على عدائها للاستعمار البريطاني وللمنظمة الصهيونية العالمية ، وبذلك وضعت نفسها في عزلة شديدة لم تتمكن من التخلص منها الا بعودتها للمنظمة الصهيونية العالمية في عام ١٩٣٩ (١٨) .

بعد تأسيس الماباي ، وباستكمال مسيرته نحو اليمين، ظهرت بوادر تكتلات يسارية في داخله وخصوصا من العناصر الاكثر يسارية في ما كان يعرف باتحاد العمل . وظهرت هذه الخلافات القديمة ـ التي كانت ، كالعادة مع اليسار الصهيوني ، مجمدة ـ في العام ١٩٤٤ ، ولو بشكل خلافات آنية حول السياسة الحالية . ففي العام ١٩٤٢ عقد اجتماع صهيوني في الولايات المتحدة ، دعا الى اقامة دولة يهودية في فلسطين ، وعرف هذا القرار ببرنامج بلتمور (١٩) . اثار

---

١٦ ـ هيورفتز : الصراع من اجل فلسطين ، ص ٤٦ .
١٧ ـ نقلا عن المصدر السابق ، ص ٤٥ .
١٨ ـ لفنبرغ ، المصدر نفسه ، ص ١٢١ .
١٩ ـ راجع الفصل السادس .

هذا القرار ضجة شديدة من قبل الفئات اليسارية التي طالبت بدولة ثنائية القومية ـ اي دولة يحكمها العرب واليهود معا . وكان الخلاف حول هذه النقطـــة هو الشرارة التي اثارت الخلافات القديمة المجمدة ، هذه الخلافات التي كان لها طابع اساسي يتعارض واستمرار الحزب كوحدة متكاملة ، فقد كان التوتر الذي اثارته هذه الخلافات كافيا لتمزيق المباي. وكانت هذه الخلافات تدور حول وجهة النظر نحو روسيه وعلاقة العامل برب العمل والديموقراطية داخل كل من المباي والهستـــدروت . فقد عارض يساريـــو المباي تحجر البيروقراطية الحزبية ونزعتها المحافظة واعتمادها الاعتماد الكلي على الدول الرأسمالية ، وطالبوا باقامة علاقات طيبـة مع الاتحاد السوفياتي . كما طالبوا بتأميم جميـع وسائل الانتاج (فقد فتح المباي الطريق امام الاستثمار الخاص بشكل شبه كامل من خلال الثلاثينات) وباعتماد الديموقراطية داخل الحزب . واسست العناصر اليسارية هذه تكتلا معارضا داخل المباي (٢٠) .

ردا على هذا قالت الاكثرية في مؤتمر المباي للعام ١٩٤٤ (في كفار فيتكن ، ٢٥ ـ ٢٨ تشرين الاول ، اكتوبر) ان على الاقلية ان تخضع لقررات الاكثرية ، وان الخلافات الأيديولوجية غير كافية لتبرير هذه التكتلات . ثم صاغت اقتراحا يدعو الى حل وتذويب التكتلات الحاضرة والى منع اي تكتل في المستقبل ، ثم وضعت هذا الاقتراح للتصويت ، حيث اصبح قرارا . فاعترضت الاقلية اليسارية على هذا بقولها ان معاملة الاكثرية لها لم تكن عادلة ، ثم انفصلت عن الحزب واسست حزب « اتحاد العمل ـ عمال صهيون » (٢١)

---

٢٠ ـ برويس المصدر نفسه ، ص ١٤١ .
٢١ ـ المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

وفي الوقت نفسه ، كانت منظمة الحارس الفتى ، التي فضلت حتى ذلك الوقت ان تبقى منظمة اجتماعية ، وكانت هذه المنظمة الماركسية قد بدأت بتحويل نفسها الى حزب سياسي ، واخذت تسيطر على عدد كبير من الكيبوتزيم ، وكان تأثيرها اكبر بكثير من قوتها العددية ، وبالرغم من عدم وجود ممثلين عنها في اي من اللجان الصهيونية الحاكمة (٢٢) ، وكانت لا بد ان تكون لها نشاطات سياسية بحكم كونها منظمة اجتماعية ، واسست « العصبة الاشتراكية » التي مكنتها من كسب الاصوات الانتخابية باعطائها بعداً سياسياً (٢٣) .

وفي العام ١٩٤٦ ، حولت « الحارس الفتى » نفسها الى حزب سياسي رسمي ، ودعت في برنامجها لسيطرة الطبقة العاملة الزراعية ولازالة الراسمالية والملكية الفردية ، كما دعت الى العمل الموحد من قبل اليسار لمجابهة برنامج بلتمور ولتحقيق الدولة الثنائية القومية (٢٤) . كان لهذه الدعوة صدى كبير لدى الصفوف اليسارية ، ذلك انها بدأت نقاشاً حامياً انتهى بتأسيس حزب المابام (حزب العمال الموحد) في ٢٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ ، وذلك باندماج احزاب الحارس الفتى ، اتحاد العمل ــ عمال صهيون ويسار عمال صهيون . ويقول برنامج المابام بانه حزب صهيوني ــ اشتراكي يساري ، يهدف الى « جمع شمل اليهود في فلسطين والى غرس الروح الاشتراكية فيهم » ، وقد دعا الى معارضة كل

---

٢٢ ــ هيورفتز ، المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

٢٣ ــ برويس ، المصدر نفسه ، ص ١٤٢ .

٢٤ ــ يحكى ان الكيبوتزيم التابعة للحارس الفتى رفضت ان ترفع العلم الصهيوني ، وكانت تنشد الانترناسيونال بدلاً من النشيد الوطني اليهودي . (بارزوهار ، المصدر نفسه ، ص ٧٧) .

اشكال التفرقة الاجتماعية و «خصوصا التفرقة ضد العرب» ، كما دعا الى الدخول في حكومات ائتلافية مع باقي الفئات اليسارية والى جعل الشرق الاوسط منطقة محايدة (٢٥) .

وقد وجدت في داخل هذا الاتحاد بذور الخلافات التي شقت الحزب عام ١٩٥٢ الى جناح يميني (اتحاد العمل ـ عمال صهيون) وجناح يساري (الحارس الفتى) ، وكانت نقاط هذا الخلاف تدور حول السياسة الداخليــة وحول العلاقات مع الاتحاد السوفياتي ، التي كان يدعمها الحارس الفتى . وبهذا الشكل كان يسار عمال صهيون يتأرجح بين هذين الطرفين ، على حسب نقطة الخلاف .

كانت فترة الاربعينات ، وحتى تأسيس الدولة اليهودية، فترة معارضة يسار اليسار الصهيوني لبرنامج بلتمور . فقد اعلن اعضاء الحارس الفتى بان المطالبة بانشاء الدولة اليهودية سيعني سيطرة اليهود على العرب ، وان هذا من شأنه ان « يؤكد الفروقات القومية ويبعد النظر عن النضال الطبقي المشترك ،وبان هذه السيطرة انما تعاكس الوحدة التي لا بد ان تأتي بين العمال اليهود والعرب » (٢٦) ، كما ان هذا مناف للتصريحات الصهيونية المتكررة بان يهود فلسطين « لا يرغبون في ان يسيطروا ، الا انهم لا يريدون ان يسيطر عليهم » على حد قول وايزمان (٢٧) . بيد ان هذا لا يعني ايقاف الهجرة : فعلى الهجرة اليهودية ان تستمر ، خلال الوكالة اليهودية ، حسب المقدرة الاستيعابية القصوى للاقتصاد الفلسطيني ،

---

٢٥ ـ برويس ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٦ .

٢٦ ـ مؤسسة الاسكو ، المصدر نفسه ، الجزء الثاني ، ص ٨٥٤ .

٢٧ ـ نقلا عن هيورفتز ، المصدر نفسه ، ص ٣٨ .

وبشكل يخفف من حدة بؤس اليهود الاوروبيين بعد الحرب. الا ان هذه الهجرة لا يجب ان تقوم على طريقة بن جوريون الفوضوية التي من شأنها ان تؤدي الى « فوضى منظمة » بادخالها الملايين من اليهود دفعة واحدة ، بل عليها ان تكون منظمة بشكل دقيق وعلمي ، بمقدار ١٥٠،٠٠٠ الى ٢٥٠،٠٠٠ مهاجر سنويا ، حتى تتمكن فلسطين من استيعابهم استيعابا صحيا ومخططا حسب الامكانات الاقتصادية للبلاد . كل ذلك من اجل تحقيق الاهداف الصهيونية ، فان اصل المسألة اليهودية هو وجود اليهود كأقليات تتحكم بها اكثريات قومية بشكل تعسفي ، والتحكم بالغير هو الشيء الاساسي الذي يجب على اليهود ان لا يفعلوه عندما يصبحون اكثرية في فلسطين . الواجب اذن انشاء دولة مستقلة على اساس المساواة القومية ، بشكل يجعل اداة الحكم في فلسطين مجلسا مؤلفا من يهود وعرب باعداد متساوية ، كما على العرب واليهود ان يشتركوا في محاربة الاطماع الامبريالية البريطانية (٢٨) .

ان ما هو واضح مما سبق ذكره ان المعارضة اليسارية هذه لم تكن تعلم بالتحديد ما هو الشيء الذي تريده . **فهي تريد المساواة بين العرب واليهود في جميع مرافق الحياة ،** الا انها تصر على وجوب تحقيق الاهداف الصهيونية كاملة ليصبح اليهود اكثرية في فلسطين (٢٩) ، بدون التفكير جديا في نتائج هذا المطلب وفي المشاكل التي لا بد وستنجم عن وجود اكثرية « مساوية » . كما انها لم تكن واقعية في تقييمها لحدة الشعور القومي العربي واستياء العرب من

---

٢٨ ـ مؤسسة الاسكو ، المصدر نفسه ، الجزء الثاني ، ص ١١٠٣ ـ ١١٠٤ و ١١٦٧ وما بعدها .

٢٩ ـ المصدر السابق ، ص ١١٧٢ .

الصهيونية في تصورها امكانية قبول العرب بالمساواة مع اليهود وبمساعدتهم لهم ، هذا وقد قررت المضي بادخال المهاجرين اليهود الى فلسطين بالرغم من انف العرب ان كان هذا ضروريا (٣٠) .

هذا الموقف المتناقض ـ مصالحة العرب ومعاداتهم ان لم يرضخوا لمطلب الصهيونيين باكثرية يهودية في مجتمع متساو ـ انما يعكس حدة القطبين اللذين ما زالا في حالة تنازع : الاشتراكية وما ينجم عنها من ضرورة مصالحة العرب، والصهيونية المؤدية الى ايجاد الاكثرية اليهوديةومعاداة العرب في سبيل هذا الهدف . بكلمة اخرى ، وضع هؤلاء امامهم موضوعين : الاشتراكية والصهيونية ، وكان المجال امامهم مفتوحا للخيار بين هذين الامرين، الا انهما ارادا الاثنين معا ، او بدقة اكثر ، هدفوا الى تحقيق الاثنين وقرروا الاكتفاء بالصهيونية ان كان تحقيق الاشتراكية والصهيونية معا مستحيلا . ان هذا الاساس الفعلي لنظرة يسار اليسار للدولة اليهودية يولد تذبذبا ، الذي بدوره يؤدي الى عدم فعالية هذه المعارضة والى ابقائها على المستوى الكلامي في معظم الاحيان ، فالمعارضة هذه لا تستند على اساس صلب يمكنها من الانتقال الى حيز التنفيذ ، وانتقلت طبيعة المعارضة هذه الى المابام حال تأسيسه ، وكانت آخر تصريح مبدئي من قبل يسار اليسار قبل تغلب صهيونيته على يساريته ، وآخر تعلق بشقي الايديولوجية البوروشوفية المتزنة .

بدأت الحرب العربية ـ الصهيونية بعد قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للامم المتحدة ، وكان العامل الاساسي في انتصار الصهيونيين على العرب هو الهاغانا

---

٣٠ ـ المصدر السابق ، ص ١١٠٤ .

(الجيش السري الصهيوني) والبالماخ المتفرع عنه . الا ان الذي يهمنا من الحرب هو موقف المابام من مطالبته بدولة ثنائية القومية . فقد كان الماباي ، وعلى راسه بن جوريون ، يوجه انتقادات عنيفة للمابام ويتهمه بالخيانة القومية . وكان المابام هو الحزب المسيطر على القوات العسكرية الصهيونية ، فقد كان اسرائيل غاليلي ، القائد العام للهاغانا ، احد قادة المابام (٣١) (يجب ان نذكر بان سيطرة المابام على القوات العسكرية نابع من سيطرته على عدد كبير من الكيبوتزيم المصدر الاساسي للجنود) . اصطدم بن جوريون مع القيادة العسكرية واراد تصفيتها لانها كانت ، على حد قوله ، تقوم بعمليات محض « دفاعية » بدلا من العمليات الهجومية الضرورية لتأسيس الدولة ، وبانها لم تكن تقوم بالهجوم لانها ملتزمة بالدولة الثنائية القومية . بيد ان هذا لم يكن الا عذرا يتمكن به بن‌جوريون من تركيز السلطة العسكرية بين يديه ، الشيء الناتج عن الضرورة الموضوعية لايجاد قيادة حربية مركزية وفي يد الماباي ، الذي كان يتمتع بالسلطة الاقتصادية والسياسية التامة ، والذي كان بالتالي المخطط الرئيسي للاهداف السياسية الواجب تحقيقها من قبل العمليات العسكرية . ولم يلاق بن جوريون معارضة جدية من المابام ، اذ تمكن من حل القيادة وتنظيم قيادة جديدة تحت امرته ، واتخذ اسرائيل غاليلي مساعدا له (٣٢) .

ان هذا الاستسلام التام من قبل المابام لطلب بن‌جوريون بالتخلي عن معارضتهم لانشاء الدولة اليهودية المسيطرة على العرب ليس بغريب ، بل هو نابع من طبيعة الايديولوجية البوروشوفية المستقطبة ، الامر الذي ادى الى تغلب العامل

---

٣١ ــ بارزوهار ، المصدر نفسه ، ص ١١٦ .
٣٢ ــ المصدر السابق ، ص ١١٤ ــ ١٢٧ .

الصهيوني فيها تغلبا تاما على العامل الاشتراكي ، وذلك تحت ضغط الاحداث السريعة والتي ارتهم بان تحقيق دولة صهيونيةشيء ممكن وقريب ، وبذلك ايقظت النزعة الشوفينية الكامنة في الصهيونية ـ من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ـ وابرزتها بوضوح من تحت ستار الاشتراكية . وكيف لا يبهر اليساريون هؤلاء بشعاع الفكرة الصهيونية ، المهيمنة على عقولهم هذه الهيمنة الطاغية على اي شيء آخر ، القريبة التحقيق ؟ ان عدم تحويل معارك ١٩٤٨ الى انتفاضة على البورجوازية ، واستخدام هذه الاوضاع « الاستثنائية » للاستسلام غير المشروط امام البورجوازية اليهودية ، وعدم طرح مسألة الاستيلاء على السلطة السياسية في اسرائيل نفسها (٣٣) ، يشكل آخر مرحلة من مراحل تغلب احد قطبي بوروشوف على الاخر ، مصدر عجز اليسار الصهيوني عن العمل اليساري الفعلي . فان للفكرة الصهيونية قوة عاطفية كامنة ، ذات طاقة هائلة ، وكانت مستعدة للظهور في اية اوضاع مؤاتية ، كأوضاع عام ١٩٤٨ « الاستثنائية » .

الوجه الداخلي لليسار الصهيوني :

الاشتراكية ، كما نعلم ، هي شكل من اشكال التنظيم الاجتماعي حيث تمتلك وسائل الانتاج ملكية عامة وتوزع نتائج هذا الانتاج توزيعا عادلا . وفي حديثنا عن اليسار الصهيوني ، لا بد وان نلقي نظرة على التنظيم الداخلي لمؤسساته الاجتماعية ـ الاقتصادية الرئيسية في اطارها الواسع . ونواة هذا التنظيم الاجتماعي هو الكيبوتز ، فالكيبوتز مرتكز استيطاني ودعائي رئيسي لليسار الصهيوني في فلسطين .

هناك من الباحثين من قال بان قيام الكيبوتز جاء نتيجة لايديولوجية مسبقة ، اتت من اوروبه بشكل نظرية عمالية

٣٣ ـ واينستوك ، المصدر نفسه .

اشتراكية ، وحققت نفسها عمليا ببناء الكيبوتز هذا . وهنالك فريق آخر يقول عكس ذلـــك ، بان الكيبوتز جاء نتيجـة للاحتياجات الانية لعمليات الاستيطان الصهيوني (٣٤) . بيد انه يمكننا القول بان الكيبوتز كان نتيجة للسببين سالفي الذكر مجتمعين ، كما رأينا في بداية الفصل الرابع من هذا البحث . وفي دراسته الان ، علينـــا ان ننظر للكيبوتز من ناحيتين : دوره في البناء الصهيوني في فلسطين ، واشتراكية الكيبوتز الداخلية .

ان الكيبوتز كمجتمع جماعي تماما هدف طوباوي وغير عملي . فلاستمرار الجماعية التامة استمرارا مستقلا ، يجب عدم الاعتماد على الخارج لان الخارج ، بمساعدته التي تجعل الكيبوتز يصل الى حد الاعتمادية ، يصبح هو المسيطر علـى مقدرات هذا الكيبوتز وعلى نشاطه . وهذا هو بالضبط ما حدث . فالكيبوتز بحاجة دائمة للتمويل الخارجـي لعدم مقدرته على الوصول الى حد الاكتفاء الذاتي (٣٥) ، كما انه واقع في ارض معادية ، وبالتالي عليه الخروج عن نطاقه الداخلي والاتصال بالخارج . وصلة الوصل بين الكيبوتز والهستدروت هي اتحادات الكيبوتز المرتبطة بالاحزاب المختلفة . ثم ان امر استقلالية الكيبوتز غير وارد اصلا ، فالكيبوتز تأسس مـن قبل الحزب وارتبط بالحزب هذا منذ البداية وبشكل مباشر ، كما ان الاحزاب المختلفة هي المسؤولة عن استمرار الكيبوتزيم ، لان هذه تشكل المصدر الاساسي لقوة هذه الاحزاب .

فالكيبوتز ، بجانب تشكيل اكثر الوسائل الاقتصادية ملاءمة للاستيطان الصهيوني في فلسطين ، انما يشكل عاملا

---

٣٤ ـ لوجهة النظر الاولى ، راجع سبيرو ، المصدر نفسه ، وللوجهة المعاكسة ، راجع شترن : الكيبوتز الذي كان .

٣٥ ـ كانوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ٢٦ والفصل الثامن .

دفاعيا وثقافيا ملائما كل الملاءمة . فالنظام التعليمي المتبع في الكيبوتز نظام صارم ومركزي ، يقوم فيه الكيبوتز بتربية الاولاد بعيدين عن اهلهم (٣٦) ، مثبتا بذلك فيهم الاراء الموحدة، ويعمل هذا النظام التعليمي على بث الايديولوجية الصهيونية وتشبيعها للاطفال حتى ينصهروا صهرا تاما بعضهم ببعض ، وبذلك يمنع عنهم صفة « الخليط » الاجتماعي والثقافي الذي كانوا سيكونونه لو تربوا في البيت . وهكذا ، فان التعليم في الكيبوتز اتى بجيل جديد صهيوني مختلف تمام الاختلاف عن الجيل القديم من المهاجرين .

كما ان الطريقـة الصارمة التي يربى بهـا الاولاد في الكيبوتز تبث بهم روح الانضباط الشديد والتفاني في سبيل الصهيونية ، مما يجعل الاولاد هؤلاء متمتعين بصفات عسكرية ممتازة تجعل منهم جنودا ممتازين في خدمة العنف الصهيوني. وبالفعل ، فان هذه النتيجة للتربية في الكيبوتز استعملت من قبل المخططين الصهيونيين لجعل الكيبوتز المرتكز العسكري الدفاعي الاساسي في تأسيسهم للدولة اليهودية . فالـروح العسكرية والتنظيم العسكري ضروريان لنجاح وبقـاء الدولة اليهودية : فهي جسم غريب معاد في وسط معاد ، وبالتالي معرض للهجوم الخارجي . ومن هنا كان التخطيط لبنـاء الكيبوتزات في اماكن استراتيجية وسهلة الدفاع عن النفس(٣٧)، كرؤوس التلال والهضبات وعلى مشارف الوديان والممرات . كما ان التربية في الكيبوتز انتجت منظمـة الهاشومير التي تحولت فيما بعد الى الهاغانا (الدفاع) ، الجيش الرسمـي ليهود فلسطين . فقد بدأت منظمة الهاشومير كمنظمة للدفاع عن الكيبوتزيم ضد هجمات العرب ، وقد نمّى النظام التعليمي

---

٣٦ — عبد الوهاب كيالي : الكيبوتز ، ص ٤٨ وما بعدها .
٣٧ — المصدر السابق ، ص ٦٧ وما بعدها .

في الكيبوتز هذه المنظمة وحوّلها فيما بعد الى منظمة واسعة النطاق تشمل جميع الكيبوتزيم، وظيفتها الاستعداد العسكري للمعركة الحتمية مع العرب .

فالنواة الاشتراكية الصهيونية ، اذن ، هي جزء من الاستعمار الصهيوني لفلسطين ومرتكزها الرئيسي ، ولولا هذا لما بقي الكيبوتز ، فان الوكالة اليهودية كانت تستغله وتستغل اشتراكيته للاهداف الصهيونية البحتة . وقد قال احد المعجبين بالكيبوتز ، « ان وجود الكفوتزا لم يكن ممكنا لولا الصهيونية ، كما انه سيزول في حال فشلها » (٣٨) ، كما ان بعد ١٩٤٨ ، اي بعد ان ادت الاشتراكية مهمتها وجاءت بالصهيونية (انعكاس المرحلية البوروشوفية) ، اخذت اشتراكية الكيبوتز بالزوال (٣٩) .

هذا عن الدور الذي لعبه الكيبوتز في الاستعمار الصهيوني لفلسطين . اما عن اشتراكيته ، فان « طوباوية » الكيبوتز اضطرت ان تتحوّل وتتغيّر ، فقد وجد الكيبوتز في محيط رأسمالي ، خصوصا في بداية الثلاثينات وكثرة الهجرة اليهودية الى فلسطين (٤٠) ، وعليه كان على الكيبوتز مواجهة المضاربة الرأسمالية حسب قوانين السوق الرأسمالية، فاضطر الى تحويل الزراعة الى زراعة ميكانيكية ، كما اضطر الى توسيع نطاق اعماله وادخال القطاع الصناعي فيها ، وبذلك تحول الكيبوتز الى رب عمل يستعمل اليد العاملة المأجورة ـ وتحول بذلك من مجتمع عمالي جماعي الى مجتمع رب عملي ، كما ان اضطراره الى رفع مستوى معيشة افراده لتتكافأ مع مستوى

---

٣٨ ـ انفيلد ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .
٣٩ ـ فريدمان : نهاية الشعب اليهودي ؟ الفصل الثاني .
٤٠ ـ مؤسسة الاسكو ، المصدر نفسه ، الجزء الثاني ، ص ٦٨٥

المعيشة في المدن وذلك ليحافظ على بقاء افراده ومنعهم من الهجرة ، شكل هذا سببا آخر دفع الكيبوتز لتوسيع نطاق اعماله (٤١) .

بجانب تحوّل الكيبوتز الى رب عمل يعمل حسب الاسس الراسمالية ، كانت هناك عناصر التفرقة العنصرية ضد اليهود الشرقيين الموجودة في الكيبوتز (٤٢) والتي تشكل اكبر «لطخة عار » على اشتراكيته . ثم هناك مشكلة الديموقراطية ، ذلك ان في الكيبوتز جماعة من الناس حاصلة على المؤهلات الادارية الكافية التي تمكنها من ادارة الكيبوتز وتنظيمه ، الشيء الذي يعطيها عمليا النفوذ شبه المطلق في الامور الادارية ، بينما ، نظريا ، يجب ان تكون السلطة الاعلى في الكيبوتز عند اجتماع كل اعضائه ، حسب الاسس الجماعية الحقيقية . بيد ان اعضاء الكيبوتز نادرا ما يحضرون هذه الاجتماعات ، مما يجعل السلطة مركزة في ايدي الفئة المؤهلة هذه (٤٣) .

وباختصار ، فانه بالرغم من بعض مظاهر الحياة الاشتراكية الحقة في الكيبوتز ، كجماعية الانتاج والاستهلاك ، وبالرغم من الاشتراكية الذاتية ، فان الكيبوتز يشكل ، موضوعيا ، منظمة استعمارية عنصرية ، ينتهي دوره بتحقيق الاهداف العنصرية والاستعمارية هذه .

الهستدروت

كما رأينا في الفصل الرابع ، جاء الهستدروت نتيجة لضرورة انشاء سلطة مركزية تعمل على تخطيط وبناء الوطن

---

٤١ — كانوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ١٤١ وما بعدها .
٤٢ — سبيرو ، المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .
٤٣ — المصدر السابق ، ص ٩٠ وما بعدها وفريدمان ، المصدر نفسه ، ص ٧٧ .

القومي اليهودي في القطاعين الاقتصادي والاجتماعي ، وبذلك كان ركيزة للقوة السياسية لليهود في فلسطين واحد منابعها ، وكان بهذا الشكل احد الادوات الرئيسية التي عملت على تمكين اليسار الصهيوني من الاستيلاء على السلطة السياسية في البلاد . اي ان الهستدروت لم يكن ، كما كان القصد منه ، نقابة عمالية شاملة فحسب، بل كان اداة استعمارية صهيونية.

اصبح الهستدروت بعد انشائه العامل الاقتصادي الرئيسي . فقد اسس بنكا للتسليف وشركة تعاونية وشركة نقل بحرية ، كما اسس اكبر شركة عقارية في الشرق الاوسط وعدة مصانع ، وشركة للتأمين على الحياة وبرنامجا شاملا للتأمين الصحي . وبذلك اصبح الهستدروت ، بالاضافة الى كونه النقابة الشاملة ، رب العمل الشامل في الوقت نفسه ، وذلك اعطاه صلاحيات شبه مطلقة في الشؤون العمالية ، صلاحيات تخوّله اصدار القرارات التي تمسّ مصالح العمال، على نمط ارباب العمل الرأسماليين ، وفي الوقت نفسه تسد الطريق امام اية اعتراضات عمالية فعلية ، بصفتها صادرة عن النقيب الاكبر . بالاضافة الى ذلك ، فان العامل مرتبط بالهستدروت ارتباطا مصلحيا حياتيا اساسيا: فان الهستدروت هو الذي يؤمن له المسكن والعمل والتعليم والتطبيب المجاني ، مما يجعل فصل هذا العامل من الهستدروت اكبر مصيبة يمكن ان تحل بهذا العامل وبالتالي تشكل رادعا قويا عن الاعتراض الجدي على سياسة الهستدروت .

ادت هذه الصلاحيات المركزية شبه المطلقة ، وضرورة تقوية السلطة المركزية للعمل في ظروف صعبة نسبيا ، الى ظهور فئة مسيطرة سيطرة دائمة على اللجان الاساسية في الهستدروت ، اي الى ظهور فئة بيروقراطية محافظة تعمل على خنق اي نقاش وعلى زيادة سلطتها وقبضتها على التنظيم .

وكان من جراء هذا ان انتقلت هذه السيطرة شبه المطلقة الى حزب الماباي لكونه حزب الاكثرية في الهستدروت ، وعملت على تقويته وتقوية البيروقراطية الكامنة في داخله .

القسم الثاني : اليسار الصهيوني على الصعيد الخارجي

اليسار الصهيوني والوكالة اليهودية

كان اليسار الصهيوني كما ذكرنا سابقا حلقة في البرنامج الصهيوني العام لبناء وطن قومي يهودي في فلسطين ، وكانت اشتراكيته بالتالي رهن المساومات مع الوكالة اليهودية التي كانت تمده بالعون المادي الاساسي . كان اليسار ، وخصوصا من خلال وحداته الاساسية - الكيبوتزيم - وتنظيماته الاقتصادية والاجتماعية داخل الهستدروت ، الاداة لبناء الاساس الاقتصادي - الاجتماعي اللازم للدولة اليهودية ، بينما اخذت الوكالة اليهودية على عاتقها القيام بالعمل الدبلوماسي وبجمع التبرعات وكسب الانصار في الخارج . وبالاضافة الى ذلك ، كانت الوكالة اليهودية تدرب المهاجرين على الاعمال الزراعية قبل ارسالهم الى فلسطين ، حيث كانت تسلمهم للهستدروت لايجاد اعمال لهم ولمساعدتهم في بناء المستعمرات الجديدة ، كل ذلك ضمن اطار الخطة الاستيطانية العامة . فكانت الوكالة اليهودية مسيطرة على العمل الداخلي ومسخرة له في سبيل العمل الدبلوماسي ، حسب طريقة عمل وايزمان ، زعيم الحركة الصهيونية آنذاك ، والذي قال « علينا ان نتأكد من اننا نسيّر هذا التيار (الحكم اليهودي الداخلي) ... وان لا ندعه يفلت من ايدينا ويبعدنا عن اهدافنا » (٤٤) .

بعد زمن قصير من تأسيس الهستدروت ، وبمجيء

٤٤ - حاييم وايزمان : التجربة والخطأ ، ص ٣١ .

الموجتين الثالثة والرابعة من الهجرة (١٩١٧ - ١٩٢٩)، وبزيادة عدد اليهود في فلسطين من ٥٧٫٠٠٠ الى ١٥٢٫٠٠٠، وباتساع النشاط الاقتصادي الداخلي، كان لا بد للقطاع الداخلي من الحركة الصهيونية ان يشعر بقوته المتزايدة - فهو العامل الاهم في عملية الاستيطان الفعلية - وان يشعر بنوع من الازدراء تجاه دبلوماسيي الوكالة اليهودية، الذين كانوا يعيشون في « اجواء عليا » بعيدة عن واقع العمل اليومي المضني والضروري لبناء القواعد المادية للدولة اليهودية القادمة. فقد كان وايزمان الدبلوماسي يؤمن بضرورة التعاون التام مع الانتداب البريطاني، ويهمل الى حد ما العمل الروتيني اليومي الداخلي، بينما كان بن جوريون، ممثل يهود فلسطين، على رأي معاكس، اذ انه، مع ايمانه بضرورة العمل الدبلوماسي، كان يعتبر بناء الدولة اليهودية مسؤولية يهود فلسطين وبان للعمل الدبلوماسي اهمية ضئيلة بالنسبة للبناء الداخلي (٤٥).

وكان من جراء ذلك ان حصلت خلافات بين القطاعين، الخارجي والداخلي: بين الوكالة اليهودية ممثلة بوايزمان، وبين المجلس القومي والهستدروت، وممثلهما بن جوريون. وكان الخلاف خلافا حول الاولويات. فقد كان وايزمان يحث القطاع الداخلي بتنسيق اعماله مع دبلوماسية الوكالة اليهودية الموجهة صوب بريطانيه وبالتعاون التام مع سلطات الانتداب، بينما طالب بن جوريون بتنسيق اعمال الدبلوماسية الصهيونية مع متطلبات البناء والعمل السياسي في الداخل. وتركزت الخلافات حول نقطة الهجرة. فقد كانت بريطانيه خلال الانتداب وعلى اثر اعمال العنف بين العرب واليهود، تبعث بلجان لتفقد الحالة هناك، وكانت هذه اللجان في كثير من الاحيان تعزو الاضطرابات الى التفرقة التي تمارسها سلطات

٤٥ - موريس ادلمان: بن جوريون، ص ٦١.

الانتداب بين العرب واليهود ولصالح اليهود ، وعدد اليهود في المرافق العامة الذي لا يتناسب مع نسبتهم السكانية ، وتخطي الوكالة اليهودية لحدود سلطتها (٤٦) . وكانت بريطانيه تضطر لاصدار قرارات بتخفيف الهجرة اليهودية (اسميا على الاقل) حتى لا يعاديها عرب فلسطين معاداة تامة . وكان وايزمان يقبل بهذه القيود التي تفرضها بريطانيه بينما كان بن جوريون يحاربها بكل ما اوتي من قوة ، وينتقد وايزمان بعنف لمواقفه تلك . وكانت هذه القيود تزداد مع ازدياد حدة « عدم الاستقرار » في فلسطين ، وبازديادها ازدادت معارضة بن جوريون لوايزمان وللوكالة اليهودية .

هذا هدد الوجود الصهيوني في فلسطين ، مما دعا القطاع الداخلي ، بازدياد قوته الاقتصادية ونفوذه السياسي - خلال الماباي - الى محاولة السيطرة على الوكالة اليهودية ، واخذت محاولاته بالتقدم مع الازدياد المطرد لنفوذه . ففي العام ١٩٣٢ مثلا ، على اثر انتخابات الهستدروت ، كان للماباي اكثرية مطلقة في مجلسه التنفيذي . كما اصبح اقوى فريق داخل الائتلاف الذي كوّن المنظمة الصهيونية العالمية ، وذلك بواسطة ممثله بن جوريون ، رئيسا للمجلس التنفيذي الفلسطيني ، كما اصبح موشي شرتوك والعازر كابلان وكلاهما من الماباي ، مديرا مساعدا للشعبة السياسية وامينا للصندوق على التوالي (٤٧) ، كذلك نقل مركز المجلس التنفيذي من لندن الى فلسطين عام ١٩٣٥ .

ولهذا النقل المكاني مغزى خاص ، اذ انه يمثل تحولا

---

٤٦ - من تقرير لجنة هايكرافت . نقلا عن تايلور ، المصدر نفسه ، ص ٣٧ .

٤٧ - هيورفتز ، المصدر نفسه ، ص ٤٤ .

هاما في مركز الثقل الفعلي للمنظمة الصهيونية العالمية وللعمل الصهيوني ككل . فحتى العام ١٩٣٥ ، سيطرت الدبلوماسية على العمل الصهيوني ، على ايدي وايزمان (حتى ١٩٣٠) ورفيقه ناحوم سوكولوف ، الا ان النفوذ العمالي كان في اتساع مطرد من جراء اتساع نفوذه الاقتصادي وتقليل اعتمادهم على الوكالة اليهودية ، وبالاخص على اهمية المرحلة البنائية التي وصل اليها اليسار الصهيوني في الداخل . ففي العام ١٩٢١ ، مثلا ، كان عدد المندوبين اليساريين لمؤتمر المنظمة الصهيونية العالمية ٤١ من اصل ٥١٢ ، واخذ هذا الرقم بالارتفاع ، الى ٦٩ من ٣٣١ (١٩٢٥) ، الى نسبة ٢٢ ٪ في عام ١٩٣١ ، ٤٤ ٪ عام ١٩٣٤ و ٤٥ ٪ في عام ١٩٣٥ (٤٨) . فقد اضحى البناء الداخلي قادرا على الاعتماد على النفس بدون المساعدة البريطانية التي كانت ضرورية ضرورة مطلقة قبل انشاء الهستدروت والماباي ، ثم ان انشاء الهاغانا جعل يهود فلسطين بغنى عن الحماية العسكرية البريطانية ، ولكن هذا الاستغناء عن المساعدة البريطانية لم يكن كاملا ، فقد كان هذا مستحيلا (٤٩) . والدليل على ان بن جوريون لم يكن يبغي التخلي الكامل عن مساعدة بريطانيه هو خلافه مع جابوتنسكي ، الذي اراد عدم التعاون مع سلطات الانتداب البريطاني وطردها من فلسطين ، وقد انتقده بن جوريون على هذا انتقادا عنيفا لتهوره وعدم واقعيته ، لدرجة انه صوّت ضد اقتراح جابوتنسكي - في المؤتمر الصهيوني للعام ١٩٣١ - بحجب الثقة عن وايزمان (٥٠) ، مع ان هذا الاقتراح يصل الى صلب الخلاف بين بن جوريون

---

٤٨ - لفنبرغ ، المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .

٤٩ - راجع مقالة منذر عنبتاوي : نزعات متأصلة في الحركة الصهيونية - مجلة الازمنة الحديثة .

٥٠ - ادلمان ، المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

ووايزمان .

ففي العام ١٩٣٥ ، اذن ، كان مركز ثقل العمل الصهيوني قد انتقل الى فلسطين ، وانعكس ذلـك بانتخاب بن جوريون رئيسا للجنة التي انتقلت من لندن الى حيفا (٥١) ، والتي كانت تقوم بالنشاط الدبلوماسي مع السلطات البريطانية في لندن. فالانتقال من لندن الى حيفا هو الانتقال من اولوية الدبلوماسية الى اولوية العمل البنائي المادي . وسيطرة بن جوريون هـي سيطرة الماباي على اللجنة التنفيذية ، وبذلك اصبح الماباي السلطة العليا في العمل الصهيوني على الصعيدين، الدبلوماسي والداخلي ، واصبح التنسيق بين هذين الشطرين من العمل الصهيوني يتبع تخطيط الهستدروت ، اي اصبـح للعمـل الداخلي اولوية على حساب العمل الدبلوماسي، وعلى حد قول منظمة الاسكو ، « اضحت المنظمة الصهيونية اداة للهستدروت في حقول العمل والهجرة والاستيطان » (٥٢) .

اليسار الصهيوني واليسار الاوروبي

رأينا في الفصل الثالث كيف انضم « الاتحـاد العالمي لاتحاد صهيون » للاممية الثانية ، عقب انتصار التحريفيـة والانتهازية فيها وتحوّل احزابها من احزاب ثورية اممية الى احزاب شوفينية اصلاحية، تبغي الحياة البرلمانية البورجوازية وتشارك البورجوازية قيمها الحياتية والسياسية ، وبذلـك تجعل النقابات العمالية التابعة لها تابعة للحالة الراهنة ، تعمل من خلالها ولا تريد تغييرها ، ورأينا كيـف ان عمال صهيون فضّلوا الانضمام الى الاممية هذه بدلا من محاولة الانضمـام

٥١ ــ بارزوهار ، المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

٥٢ ــ مؤسسة الاسكو ، المصدر نفسه ، الجزء الاول ، ص ٣٥٩ .

للكومنترن ، ذلك لانهم رأوا فيها من يفهم ويقدّر شوفينيتهم وخليطهم الاصطناعي بين الاشتراكية والقومية .

بعد مؤتمر امستردام (١٩١٩) وقبول عمال صهيون فيه ، انفصلت بعض الاحزاب اليسارية عنه لعدم رضاها عن الخطوط العامة لسياسته ، وحاولت ان تؤسس اممية خاصة بها (سميت هذه بالاممية الثانية والنصف) مستقلة عن الكومنترن ، وعقدت مؤتمرا في فينه في العام ١٩٢١ ، حضره مندوبون عن عمال صهيون . بيد ان هؤلاء المنفصلين ادركوا بان ليست هناك في الحقيقة اية خلافات مبدئية بينهم وبين الاممية الثانية ، وعقدوا مؤتمرا معهم في هامبورغ عام ١٩٢٤ لتناسي الماضي والعمل الموحد . وكانت بعض مقررات هذا المؤتمر ما يلي :

١ ـ « وضع فلسطين على قائمة القوميات .

٢ ـ ان الحزب الفلسطيني الوحيد الذي اعلن عن استعداده للانضمام هو حزب عمال صهيون .

٣ ـ ان لاتحاد عمال صهيون اعضاء في دول خارج فلسطين ، وهو يطالب ، استنادا الى الفقرة العاشرة من قوانين الاحزاب ، اعتبار هؤلاء الاعضاء كأعضاء فلسطينيين .

٤ ـ اعطاء فلسطين صوتين في المؤتمر . هذان الصوتان يعطيان لمندوبي عمال صهيون ، وهما خاضعان للمراجعة في حالة انضمام اي حزب فلسطيني آخر للاممية » (٥٣) .

وباشتداد الدعاية الصهيونية في العشرينات ، ازداد نفوذ الصهيونيين داخل الاممية ، فقد كانت مصالح هذه الاحزاب الاصلاحية مرتبطة ارتباطا مباشرا ببورجوازية اوطانها المختلفة ،

٥٣ ـ نقلا عن لفنبرغ ، المصدر نفسه ، ص ١١٦ .

وبذلك كانت تتبعها في تأيدها للصهيونية . واكثر من ذلك ، فقد كانت تنتقد « تنازلات » محافظي بلادها للعرب في برلماناتها (٥٤) . من ذلك مثلا ان احد النواب العماليين اعلن في مجلس العموم البريطاني ، على اثر منع اليهود من شراء الاراضي في العام ١٩٣٩ ، وعقب تقديمه اقتراحا بتبطيل مفعول هذا القرار ، « ان الاقتراح قدم ليس لان حزب العمال هو مناصر لليهود او معاد للعرب ، بل لان الحزب يؤمن بانه من مصلحة بريطانيه بان تحترم مسؤولياتها الدولية ... ان التقدم اليهودي يعني التقدم العربي » (٥٥) .

وكانت دعاية اليسار الصهيوني الموجهة نحو اشتراكيي اوروبه تأخذ خطين عريضين : تأكيد على النظرة التقليدية لليهود على انهم شعب توراتي مشرد ومضطهد ، ثم تقديم صورة عن فلسطين بانها بلد بداوة وتأخر ، بناه اليهود على اسس اشتراكية وحضارية ، وحققوا الاشتراكية التامة في الكيبوتز ، والنقابية التامة في الهستدروت . وكانت الناحية الاولى تؤثر بطريقتين . كانت من جهة تزيد العطف على اليهود من جراء شعور لا واع بالعداء للسامية عند الغربيين عامة وما يتأتى عن ذلك من شعور بالذنب ومحاولة التغلب على هذا الشعور - خصوصا وان اليهود اظهروا انفسهم بشكل المساكين المغلوبين على امرهم ، وخصوصا بعد ظهور هتلر - ومحاولة التغلب على هذا الشعور بالذنب بطريقة دون كيخوتية سمجة (٥٦) ، وسماجتهم هذه وجهلهم بطبيعة الصهيونية

---

٥٤ - لمجموعة كبيرة من الوثائق بهذا الصدد ، راجع المصدر السابق ، ص ٢٠٤ - ٣١٠ .
٥٥ - المصدر السابق ، ص ٢٠٩ - ٢١٥ .
٥٦ - راجع ارنولد توينبي : دراسة في التاريخ ، الجزء الثامن ، الفصل التاسع ، ص ٢٨٧ .

وعملها في فلسطين يجعل احد اشتراكيي بريطانيه يقول بان « نجمة بيت لحم التي تشع فوق القدس قد اصبحت نجمة الاشتراكية » (٥٧) . كما ان الكثير من الاشتراكيين هؤلاء قد وافقوا على اتباع ومساعدة الصهيونية لاتباعهم حرفية العهد القديم .

ثم قدم اليسار الصهيوني للاشتراكيين الاوروبيين صورة زاهرة عن فلسطين الاشتراكية التي بناها اليهود بجهدهم وجدهم ، في وجه صعوبات قاسية ، تتراوح بين ارض صحراوية الى عرب عدائيين رحل ، يعيشون في القرن الخامس عشر . وانهم في الحقيقة انما يعملون في صالح العامل العربي ، فهم يعطونه الحضارة وينقذونه من براثن الملاّك العربي . فان « فلسطين اختبار اشتراكي من الدرجة الاولى ، فهنالك التعاون التام بين النقابات والاحزاب والحركة التعاونية » (٥٨) على حد قول احد اشتراكيي اوروبه ، ثم اقترح احدهم « تشجيع » العرب على الخروج من فلسطين بقوله «أن لديهم اراضي واسعة ، ولا يجب ان يمنعوا فلسطين عن اليهود ... علينا ان ندرس امكانية توسيع الاراضي اليهودية بالاتفاق مع مصر وسوريه وشرق الاردن » (٥٩) .

كان لهذه الدعاية اثر كبير على اشتراكيي اوروبه . فعندما دعا اتحاد عمال صهيون الى اجتماع عالمي لتأسيس لجنة دائمة لفلسطين . كان من بين الموقعين على الدعوة مشاهير اشتراكيي اوروبه ، ومن بينهم ليون بلوم (فرنسه) واميل فاندرفيل (بلجيكه) وابوهم الروحي ، ادوارد برنشتاين (المانيه) . التأم نصاب هذا المؤتمر خلال مؤتمر الاممية الثانية

٥٧ ـ لفنبرغ ، المصدر نفسه ، ص ٢٥٧ .
٥٨ ـ المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .
٥٩ ـ المصدر السابق ، ص ٢١٤

في بروكسل (١٩٢٨) ، وقال فاندرفيل ، رئيس المؤتمر ، في خطابه الافتتاحي « لقد انقذ الصهيونيون الاراضي من الخراب ، واسترجعوا لغة آبائهم ، وهم الآن يقاتلون من اجل العدالة ، انهم يريدون ان يكونوا رجالا احرارا ، بعيدين عن الاستغلال ، والعبودية . دعهم يناضلون ليحققوا قول نبيهم : سأسترجع شعبي ، بني اسرائيل ، من العبودية ، سيبنون المدن الخراب وسيسكنونها ، وسيزرعون الكرمة ويشربون نبيذها ... ولن يطردوا من بلادهم بعد الآن » (٦٠) .

ويمكننا ان نرى بوضوح الطريقة السفسطائية العاطفية التي صيغت بها هذه الكلمات ، الشيء الذي يدل على مفهوم صاحبها للصهيونية ، على الطريقة الدعائية التي غرست بها الصهيونية في نفسه . فكلامه خليط من الحنين الى زمن التوراة وتعميمات فارغة حول العبودية وانقاذ الارض الى ما ذلك من كلمات لا يعلم قائلها معناها .

ثم قرر المؤتمر بالاجماع تبنّي النقاط التالية :

« ان مؤتمر اشتراكيي البلدان المختلفة الذي اجتمع في بروكسل في ٩ آب (اغسطس) ١٩٢٩ ، بفضل بادرة عمال صهيون ، واجابة لدعوة السادة برنشتاين ، بلوم ، هندرسن وفاندرفيل ، وبعد الاستماع الى خطابات السادة كابلانسكي وفاندرفيل ، يعلن بان جهود الحركة العمالية الصهيونية في فلسطين ونضالها في سبيل بناء وطن قومي يهودي على اسس العمل والحياة الاشتراكية ، مشبعة بروح التضامن العالمي ، يجب ان تناصر وتدعم من قبل جميع الاشتراكيين في جميع البلاد .

يقرر المؤتمر ما يلي :

٦٠ — المصدر السابق ، ص ١١٨ — ١١٩ .

١ ـ انشاء « لجنة مساعدة فلسطين » ، لمساندة العمل البنائي والنضال العمالي في فلسطين .

٢ ـ على هذه اللجنة ان تبقى على اتصال دائم مع عمال صهيون خلال اجرائها مهماتها .

٣ ـ ان الوحيدين الذين لهم الحق في الانضمام الى هذه اللجنة هم اعضاء الاحزاب المنضمة للاممية .

٤ ـ على اللجنة ان تبقي الاممية على علم بما يجري في فلسطين من نشاطات عمالية .

٥ ـ انتخاب مجلس دائم للقيام بهذا العمل » .

وقد ضم المجلس بين اعضائه اميل فاندرفيل (رئيسا) وليون بلوم ، وكميل هويسمانز (٦١) . وكان نشاط هذه اللجنة في فلسطين نشاطا اسميا بحتا، الا انها ايدت الصهيونية داخل الاممية الثانية (مثل محاولة « البند » ، التي انضمت للاممية الثانية عام ١٩٣٠ ، انشاء معارضة داخلية للصهيونية) ، وفي برلمانات بلادها .

على الصعيد النقابي ، كان الهستدروت عضوا في الاتحاد العالمي لنقابات العمال ، وكانت بعض النقابات المهنية المتخصصة في فلسطين عضوا في نقاباتها العالمية . ولا شك ان لدعاية الهستدروت داخل هذا الاتحاد العالمي اثرا كبيرا على موقف الاحزاب العمالية الاوروبية ، التي كانت تستند على النقابات العمالية كركيزة ، تجاه الاشتراكية الصهيونية . وفي مؤتمر زوريخ للعام ١٩٣٩ ، اتخذ الاتحاد العالمي لنقابات العمال المقررات التالية :

« ان المؤتمر يندد بكل انواع الدعاية القومية الداعية

٦١ ـ المصدر السابق ، ص ١١٩ .

للكراهية ، وبكل انواع التفرقة ضد اي فئة في اية بلد كانت. ان المؤتمر يستبدل العداوة القومية بمبدأ تعاضد العمال ، بغض النظر عن اللون او العرق او الدين او القومية » (٦٢) .

كان الاحرى به ان ينظر الى داخل فلسطين ليرى موقف العمال اليهود في العمال العرب .

٦٢ ـ المصدر السابق ، ص ١٢٠

الفصل السادس

اليسار الصهيوني والاستعمار

الى ١٩٣٩

« يترتب علينا ان نشرح ونفضح باستمرار امام اوسع الجماهير الكادحة في العالم اجمع ، وفي البلدان المتخلفة خاصة ، عملية الخداع المنتظمة التي تمارسها القوى الاستعمارية اذ تعمد ، بحجة انشاء كيانات سياسية مستقلة ، الى انشاء دول تابعة لها تبعية كاملة ـ اقتصاديا وماليا وعسكريا . والمطامع الصهيونية في فلسطين مثال من الامثلة الواضحة على عملية الخداع هذه التي يمارسها الاستعمار على جماهير هذه الامم المضطهدة بالتعاون مع الحلفاء ومع بورجوازيات هذه الامم » .

بهذه الكلمات ، لخص لينين (١) العلاقة بين الصهيونية والاستعمار في العقود الثلاثة الاولى من هذا القرن . فقد ارادت بريطانيه بمساعدتها للصهيونية تأمين حماية قناة السويس وطريق الهند بواسطة فئة مؤيدة لها في المنطقة

---

١ ـ لينين : موضوعات حول المسألة الكولونيالية والوطنية ، كما عدّلها واقرها المؤتمر الثاني للكومنترن عام ١٩٢٠ : ستوارت شرام : الماركسية وآسيه ، ص ٢٠٤ .

(الصهيونيين) ، كما ارادت ان تجد فيهم من يحافظ على سيطرتها على فلسطين في وجه الوعي العربي ومطامع الاستعمار الفرنسي ، ولذا عملت على زرع اليهود في فلسطين لانهم ، من الناحية الاولى ، سيعرقلون مسير المطامع الفرنسية لارتباطهم ببريطانيه ومن الناحية الاخرى ، سيحافظون على سيطرتهم على فلسطين باشغال عربها بمحاربتهم ، كذلك علينا ان لا ننسى الاسباب الاستراتيجية الحربية التي اجتمعت مع الاسباب سالفة الذكر في ارض خصبة ـ الذهن البريطاني الشاعر بالذنب من اجل عدائه اللاشعوري للسامية ، والمتأثر بحرفية الانجيل ـ لتنتج وعد بلفور .

فالاستعمار البريطاني ، اذن ، بمساعدته للصهيونية ، انما كان يحاول الحفاظ على مصالحه الاستراتيجية في المنطقة، وتوخى منذ البداية انشاء كيان يهودي «تابع له تبعية كاملة»، وذلك بخدع الجماهير اليهودية بالتعاون مع البورجوازية اليهودية الممثلة بالمنظمة الصهيونية العالمية . وهذا الاعتماد للصهيونية على الاستعمار البريطاني شيء حتمي ونابع من وضع السياسة الدولية . فلم يستطع الصهيونيون تنفيذ اي من اهدافهم لعدم وجود سلطة سياسية فعلية بين ايديهم ، وكان عليهم بالتالي الاعتماد على القوى العالمية ، التي تمثل السلطة السياسية الوحيدة المتمكنة من مساعدتهم .

وكانت اول مساعدة فعلية تلقاها الاستعمار من الصهيونية هو تأسيس الفرقة اليهودية ، التي اشتركت في العمليات العسكرية في شمال افريقيه بجانب القوات البريطانية، وقد تأسست هذه الفرقة على اثر جهود جابوتنسكي في اوروبه ودافيد بن جوريون في الولايات المتحدة الاميركية . وكانت هذه الخطوة من طرف بن جوريون ، ممثل عمال صهيون ، اعترافا ضمنيا بوجود اهداف مشتركة بين اليسار الصهيوني وبين الاستعمار. فقد كان هدف اليسار الصهيوني

كما كررنا مرارا ، هو تأسيس الدولة اليهودية ، اما التحالفات الواجبة في سبيل تحقيقها ، ونتائج هذه التحالفات ، فلم تخطر على بالهم ابدا .

في العام ١٩٢٢ ، وافقت عصبة الامم على انتداب بريطانيه على فلسطين ، واعلنت احدى فقرات صك الانتداب بانه « سيعترف (بضم الياء) بوكالة يهودية كهيئة عامة تعمل على مساعدة سلطات الانتداب وكمستشارة لها في الامور المتعلقة بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية لتأسيس الوطن القومي اليهودي في فلسطين » (٢) ، وبذلك، اعترفت بريطانيه باداة الحكم الذاتي اليهودي ، ولو بطريقة غير مباشرة .

كانت فترة الانتداب الى ١٩٣٩ فترة استياء عربي عام من مساعدة بريطانيه للهجرة اليهودية ، ومحاولاتها المتعددة للسير على طريق نصفي بين العرب واليهود . فقد كانت بريطانيه تحاول ارضاء العرب عن طريق فرض القيود على الهجرة ، بينما ثابرت على غض النظر عن النشاطات الصهيونية المنافية لما يقوله وعد بلفور عن المحافظة على حريات ومصالح السكان غير اليهود ، وكان لهذا اثر عكسي على مصالح بريطانيه ، التي غضت النظر عن الكثير ، مما جعل النشاطات اليهودية قادرة على الاستغناء الجزئي عنها وادى هذا الى انفلات زمام الامور من يد بريطانيه . هذا سنراه فيما بعد . على ان الفترة التي تهمنا في علاقة الاستعمار مع اليسار الصهيوني هي الفترة الواقعة ما بعد ١٩٣٥ ، عام سيطرة اليسار على العمل الدبلوماسي الصهيوني وعلى الوكالة اليهودية .

اما في الفترة السابقة لـ ١٩٣٥ ، فقد كانت مساعدة بريطانيه لليسار الصهيوني مركزة على مساعدتهم في بناء

٢ ـ نقلا عن تايلور ، المصدر نفسه ، ص ٤٤ .

الهاغانا ، جيشهم السري . ظهرت الهاغانا ، كما ذكرنا قبلا ، عن مجموعات الهاشومير التي كانت تقوم باعمال « الحراسة ». ومع مجيء الموجة الثالثة من الهجرة التي تلت وعد بلفور ، ازداد عداء العرب للمهاجرين الذين كانوا يجلونهم عن اراضيهم. بدون شك بمساعدة الهاشومير ، وبذلك اصبح توسيع هذه المنظمات وربطها ببعض تحت ادارة مركزية من الضرورة بمكان، وبذلك تحولت من «عمليات فردية الى المرادف شبه العسكري للجيش المعتمد على المتطوعين ». وقد اشتركت الهاغانا بعمليات كثيرة ، كالدفاع عن اليهود خلال الاضطرابات في عام ١٩٢٩ وغيرها (٣) .

وكانت مساعدة بريطانيه للهاغانا مساعدة فعالة سرية . فقد كانت سلطات الانتداب تتغاضى عن عمليات تهريب الاسلحة التي تقوم بها الهاغانا ، بل كانت تساعدهم في كثير من الاحيان، بغض النظر عن القوانين التي تمنع حيازة الاسلحة ، بينما « سجن واعدم الكثير من العرب عند اكتشاف حيازتهم لبندقية واحدة » ، على حد قول الصهيوني كستلر (٤) . وقد كان لكل وحدة عسكرية بريطانية « مترجم » يهودي ، الذي كان في الواقع ضابط اتصال بين الهاغانا والجيش البريطاني . كما قامت السلطات العسكرية البريطانية بتدريب افراد الهاغانا تحت ستار تدريبهم لدخول البوليس ، حتى انه في العام ١٩٣٦ ، كان هناك ١٦٫٠٠٠ من اعضاء الهاغانا في البوليس الفلسطيني (٥) .

الا ان اكبر مساعدة فعلية تلقتها الهاغانا من بريطانيه هي

---

٣ ــ ارثر كستلر : الوعد والتحقيق ، ص ٦٩ .
٤ ــ المصدر السابق ، ص ٧٣ .
٥ ــ موشي برلمان : جيش اسرائيل ، ص ٢٩ . وكان من بين هؤلاء موشي ديان .

التنظيم النهائي للجيش السري الذي قام به ضابط بريطاني ، هو الكابتن اورد وينغيت Wingate (١٩٠٣ ــ ١٩٤٤) ، الذي جاء الى فلسطين كضابط في الاستخبارات العسكرية البريطانية ، والذي اجاب عند سؤاله عن ما قرأ حول الصهيونية « هناك كتاب واحد ذو اهمية عن الموضوع واني لاعرفه حرفيا ــ التوراة» (٦) . قام وينغيت في الفترة ١٩٣٦ــ١٩٣٩ بتنظيم الهاغانا تنظيما عسكريا ممتازا ، كما قام بانشاء « الفرق الليلية الخاصة » ، التي كانت تقوم بمهمات خاصة ضد عرب فلسطين (٧) ، والتي اصبحت فيما بعد البالماخ (الفرقة الصارمة) التي قامت بعمليات خاصة خلال الحرب العالمية الثانية وخلال الحرب العربية ــ الاسرائيلية للعام ١٩٤٨ .

كل هذا ادى الى كون الهاغانا منظمة دقيقة التنظيم وممتازة التدريب والانضباط ، كان فيها ٤٣٫٠٠٠ جندي في العام ١٩٣٩ (٨) ، واصبحت النواة التي بني حولها الجيش الاسرائيلي ، كما كانت عاملا فعالا في افلات زمام الامور في فلسطين من بريطانيه .

١٩٣٩ ــ ١٩٤٥

كانت الفترة بين بداية الانتداب وبين ١٩٣٩ فترة بناء الاكثرية اليهودية في فلسطين وتنظيمها بمساعدة الامبريالية البريطانية التي خدعت نفسها بظنها انها لا تزال القوة المتلاعبة بالفئات الفلسطينية ، وان باستطاعتها التصرف باية طريقة تريد . وفي بداية الحرب العالمية الثانية ، رأت بريطانيه ان تتجه نحو كسب التأييد العربي بشكل جدي . فقد كان العرب

٦ ــ بارزوهار ، المصدر نفسه ، ص ٧١ .
٧ ــ كستلر ، المصدر نفسه ، ص ٧٣ .
٨ ــ هيورفتز ، المصدر نفسه ، ص ١٢٨ .

يشعرون بالعداء المتزايد نحو بريطانيه لمساعدتها للصهيونية ، واتجه الكثير منهم الى المانيه الهتلرية وايدوها وعلى راسهم الحاج امين الحسيني ، مفتي القدس آنذاك ، الشيء الذي دعا بريطانيه الى مصالحة العرب لحماية مركزهم الاستراتيجي في الحرب هذه . فاصدرت الحكومة البريطانية في العام ١٩٣٩ ، بواسطة لجنة لدراسة الوضع في فلسطين ، قرارا يحد من الهجرة اليهودية الى اعداد صغيرة جدا ، كما قررت منع شراء اليهود للاراضي الخارجة عن مساحات صغيرة معينة . وكانت هذه نقطة تحوّل في العلاقات بين الصهيونية والاستعمار البريطاني ، ولكن هذا لم يعن تحولا في علاقة الصهيونية مع الاستعمار كاستعمار. ومع ان التنظيم السياسي والاقتصادي ليهود فلسطين كان قد اصبح قويا ومعتمدا على نفسه الى حد ما ، الا انه لم يكن كافيا لاستقلال اليهود عن الاستعمار استقلالا تاما ، ان كان هذا الاستقلال على المدى القريب او البعيد . فعلى المدى القريب ، وبانشغال بريطانيه بالحرب ، لم يكن صعبا على الثوار العرب ان يجعلوا الحياة لليهود صعبة جدا . ولنفترض انهم تمكنوا من اعلان دولة يهودية ، فلم يكن من الممكن بقاء هذه الدولة بدون مساعدة خارجية لمدة طويلة ، وذلك لوجودها في محيط معاد .

لما جاءت قرارات ١٩٣٩ ، هددت بشكل جدي الاهداف الصهيونية ، وبذلك جعلت الانتداب ، الذي كان في اول الامر عاملا مساعدا للصهيونية ، حاجزا يحول دون تحقيق اطماعها، وبذلك وجبت عليهم محاربته ـ الا ان هذه الحرب كانت حربا جزئية ، فلم يقطع الصهيونيون الامل بالوصول الى اتفاق مع بريطانيه ، فقد كانت لا تزال القوة الرئيسية في المنطقة. ومن هنا قول بن جوريون « سنخوض الحرب وكأن الكتاب الابيض لم يكن ، وسنحارب الكتاب الابيض وكأن الحرب لم تكن » (٩)

٩ ـ نقلا عن بارزوهار ، المصدر نفسه ، ص ٦٦ .

(والكتاب الابيض هو الاسم الحكومي الرسمي للتقارير المقدمة للحكومة البريطانية من قبل لجانها) . وبالفعل ، فقد خاض الحرب بالفرقة اليهودية ، وحارب الكتاب الابيض بعدة طرق، نتكلم عنها الآن .

اما على الصعيد السياسي ، فقد حاربت الوكالةاليهودية الكتاب الابيض بطريقتين : الاولى هي بالاتجاه نحو الولايات المتحدة الاميركية ، والثانية عن طريق الدعاية .

فالاتجاه نحو الولايات المتحدة نابع عن ضرورة الاتجاه نحو دولة كبرى ، وقد رأى بن جوريون اهميةالتحول هذا في وقت عندما قال : « لا بد من تحويل مركز ثقل عملنا السياسي من بريطانيه الى الولايات المتحدة ، التي ستصبح اقوى دولة فيالعالم ، والتي تحوي اكبر عدد من اليهود في العالم واكثرهم نفوذا ... ان بريطانيه وان ربحت الحرب ، فانها ستضعف كثيرا ولن يكون لديها القوة الكافية للقيام بانتداب جديد او للوقوف في وجه معارضة الدول العربية ... كما ان اوروبه ستعتمد اقتصاديا ، والى مدى كبير ، على الولايات المتحدة بعد الحرب » (١٠) .

على هذه الاسس ، قامت الوكالة اليهودية بحملة دعائية كبيرة ، كان الهدف منها تحويل الرأي العام اليهودي الاميركي ــ المندمج عموما ــ الى الصهيونية ، والعمل على مطالبتهباقامة دولة يهودية بعد الحرب مباشرة . وانتهت هذه الحملة بمؤتمر صهيوني فوق العادة ، عقد في فندق بلتمور Biltmore في مدينة نيويورك في ايار (مايو) ١٩٤٢ ، طالب فيه بن جوريون بتنفيذ مقررات مؤتمر بازل وعدم الرجوع عنها ، ثم تبنّى هذا المؤتمر ضمن مقرراته الدعوة بشكل غير مباشر

---

١٠ ــ المصدر السابق ، ص ٦٧

لاقامة دولة ضمن الترتيبات العالمية التي ستلي الحرب ، ودعا الى نقض الكتاب الابيض ، واتبع ذلك بحملة دعائيـة لكسب الرأي العام والكونغرس الاميركيين (١١) .

ولم تكن هذه الحملة الاعلامية الواسعة موجهة نحـو الولايات المتحدة فقط ، بل كانت موجهة ، وبشكل مركز ، الى بريطانيه ، حيث حاول الصهيونيون الضغط على الحكومة من قبل الرأي العام وحزب العمال البرلماني ، وذلك لابطـال مفعول الكتاب الابيض . وكان مضمون هذه الحملة الدعائيـة مركّزا على استدرار العطف على اليهود بعد التركيز على بربرية معسكرات الاعتقال النازية التي صفيّ فيها الكثير من اليهـود (ومن الغجر والبولنديين) (١٢) ، والتي كان مـن جرائها ، بالاضافة الى التصفية المنهجية والمنظمة لليهود ، ان اوجدت عددا كبيرا من اليهود الهاربين والذين كانوا يحاولون الخروج من المانيه والدول التي احتلتها . وقد تمكن الكثير من هؤلاء التجمع ، بمساعـدة المنظمـات السرية اليهودية وباشراف الهاغانا ، وركوب البواخر والابحار الى فلسطين . بيـد ان الكتاب الابيض منع هجرة اليهود من المناطق التي احتلتهـا المانيه ، الى فلسطين ، ولم تسمح للمهاجـرين بالدخول ، وارجعت الكثير من هذه البواخر الى الامكنة التي جاءت منها ، وعندما اصبح رجوعها مستحيلا ، ارسلت هذه البواخر الى جزيرة موريشس البريطانية في المحيط الهندي حيث بقـي اليهود الى نهاية الحرب ، او الى قبرص (١٣) . وقد حدث ان غرقت بعض هذه البواخر المكتظة او احترقت بمن فيها (١٤) .

---

١١ ـ تايلور ، المصدر نفسه ، ص ٦٠ .
١٢ ـ المصدر السابق ، ص ٨٠ .
١٣ ـ كستلر ، المصدر نفسه ، ص ٦١ .
١٤ ـ المصدر السابق ، ص ٥٨ وما بعدها .

استغلت الدعاية الصهيونية حالة الهاربين المزرية، وعدم السماح لهم بالدخول الى فلسطين من قبل السلطات البريطانية المتعسفة المتوحشة ، وغرق البواخر (مع العلم ان الصهيونيين الاميركيين لم يقبلوا دخول الهاربين الى الولايات المتحدة ، فقد كان شعارهم فلسطين او لا شيء) ، كل هذا استغلته الدعاية الصهيونية ببراعة فائقة لكسب تأييد وعطف الرأي العام البريطاني والاميركي ــ فقد صوروا ، كما يصورون كل شيء يمس مصالحهم ، على انه معاداة للسامية ــ حتى ان حاكم نيويورك دعا في خطاب له الى عدم اعطاء بريطانيه قرضا كانت قد طلبته من الولايات المتحدة ، لانها « لا تفي بالتزاماتها ، وان على المدين ان يفي بالتزاماته » (١٥) . كما ان النزعة الدونكيخوتية البريطانية دعت حزب العمال لمعارضة هذا الكتاب الابيض بكل شدة (١٦) .

اما على الصعيد الفلسطيني ، فقد حاربت الصهيونية الكتاب الابيض عن طريق الهجرة اللاشرعية . فوضع المجلس التنفيذي خطة لهذه الهجرة ، تعتمد على « لجنة الانقاذ الموحدة » وعلى « لجنة الهجرة اللاشرعية » التي كانت عبارة عن تنظيم سري يعمل في كل اوروبه على تهريب اليهود من المناطق الالمانية وعلى شراء السفن للسفر الى فلسطين (١٧) ، وقد كان للهاغانا قسط كبير من النشاط هذا ، حيث انها تمكنت من انزال ١١٥ر٠٠٠ مهاجر لاشرعي من ٩٦ سفينة في اماكن مختلفة على الشاطىء الفلسطيني (١٨) ، ويجب ان

١٥ ــ المصدر السابق ، ص ١١١ .
١٦ ــ راجع لفنبرغ ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ ، ٢٣٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤٧ ، ٣٠٠ ، ٣١٣ وغيرها .
١٧ ــ تايلور ، المصدر نفسه ، ص ٧٣ ــ ٧٤ .
١٨ ــ برويس ، المصدر نفسه ، ص ١٣٤ .

لا ننسى بان سلطات الانتداب غضت النظر عن تهريب المهاجرين في كثير من الحالات ، اذ انه من المستحيل تفريغ ٩٦ سفينة بدون علم جيش بريطانيه ببعض منهـا على الاقل ، وذلـك استنادا الى موقف كثير مـن الضباط البريطانيين المتناقض والمتردد من العرب واليهود (١٩) .

من جهة ثانية ، وبعد ان كانت الهاغانا تساعد السلطات البريطانية ضد العصابات الصهيونية الارهابية التي اسسهـا « التحريفيون » (الارغون وشترن) ، اعلن بن جوريون في اوائل الحرب بانه يرفض المضيّ بتقديم المساعدة هذه بسبب تصرف بريطانيه تجـاه اليهود (٢٠) ، واصبحت الهجمـات الارهابية العنيفة على المنشآت العسكرية البريطانية اكثر عنفا وضررا عما كانت عليه قبلا (٢١) .

ثم قامت الهاغانا بتسليح نفسها على حساب الجيش البريطاني ومن مستودعاته . فقد اعلن تقرير ورد للحكومـة البريطانية بأنه « توجد في فلسطين مؤامرة خطيرة وواسعـة النطاق للحصول على السلاح من قوات صاحب الجلالة ، كما ان المنظمة التي تقوم بهذه الاعمال ... لها مبالغ طائلة من المال تحت تصرفها ، كما لها معرفة واسعة بالامور العسكرية .. »(٢٢) ، كما اتضح في محاكمة اثنين من الجنود البريطانيين كانـت لهم علاقة بسرقة الاسلحة هذه بأنه كان لكل من بن جوريون والهستدروت والمنظمة الرياضية التابعة لعمال صهيون علاقة بعمليات السرقة والتهريب المعقدة هذه (٢٣) ، كما انـه مـن

١٩ ـ كستلر ، المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .
٢٠ ـ تايلور ، المصدر نفسه ، ص ٧٣ .
٢١ ـ كستلر ، المصدر نفسه ، الفصل الثامن .
٢٢ ـ سامي هداوي : الحصاد المرّ ، ص ٦٩ .
٢٣ ـ تايلور ، المصدر نفسه ، ص ٧٥ .

الجائز جدا ان يكون الجيش البريطاني قد اشترك رسميا وسريا بالعمليات هذه .

بيد ان هذا كله لم يمنع تعاون الوكالة اليهودية مع الانتداب البريطاني ، فما زالت بريطانيه القوة الرئيسية في المنطقة . وكما قال بن جوريون « سنحارب الكتاب الابيض وكأن الحرب لم تكن ، وسنخوض الحرب وكأن الكتاب الابيض لم يكن » . ولكن بطبيعة الحال ، لم يكن بن جوريون يريد خوض الحرب من اجل مصلحة بريطانيه بل كان بعمله هذا يحاول دفع بريطانيه على تغيير سياسة الكتاب الابيض في مقابل المساعدة هذه ، كما كان يريد تدريب اعضاء الهاغانا على الحرب الفعلية من اجل تكوين نواة عسكرية ذات خبرة ، تحضيرا للمعركة المحتومة مع العرب .

وقد اعترفت بريطانيه رسميا بالهاغانا وقررت تأسيس فرقة يهودية تحت العلم اليهودي لخوض الحرب بجانب الحلفاء ، وذلك بعد تردد كبير وطويل ، خشية انقلاب الهاغانا عليها بعد تدريبها وتزويدها بالسلاح . ثم اسس الجيش البريطاني معسكرا سريا لتدريب الهاغانا (٢٤) ، واتفق معها على عدة نقاط ، اهمها عمليات حرب عصابات تشترك بها الهاغانا في حال احتلال رومل لسيناء والزحف نحو فلسطين ، وتغطية الانسحاب البريطاني في الحالة نفسها ، كما نسقت الاستخبارات العسكرية البريطانية عملها مع استخبارات الهاغانا (٢٥) . كذلك اتفق الجيش البريطاني مع الهاغانا على القيام بمحاربة الارغون ، التي حاربت مع بريطانيه في مهمات خاصة خلف الخطوط الالمانية (٢٦) . وقام اعضاء الهاغانا بعدة عمليات استخبارات

---

٢٤ ــ كستلر ، المصدر نفسه ، ص ٨٦ .
٢٥ ــ برلمان ، المصدر نفسه ، ص ٤٣ .
٢٦ ــ كستلر ، المصدر نفسه ، ص ٧٧ .

وتخريب ضد حكم فيشي في سوريه ، وقد كانت معظم هذه العمليات تقع على عاتق البالماخ ، التي كان معظم قوادها واعضائها . من حزب اتحاد العمل ــ عمال صهيون ، اي في اقصى يسار اليسار الصهيوني (٢٧) . وهذا ليس بغريب ، اذا نظرنا لتصريح موشي سنيه احد قواد الحارس الفتى ، على سبيل المثال ، بان اليهود « لا ينوون طرد الانجليز من البلاد للحلول محلهم ، وقال اننا لا نجد تعارضا بين الهجرة اليهودية الكثيفة واقامة دولة يهودية من جهة ، واحتفاظ بريطانيه بقواعد اجتماعية واسعة في هذا البلد . بل بالعكس ، فاننا ننظر لذلك بكثير من العطف والتأييد » (٢٨) .

ولا شك في ان هذا التناقض العجيب بين مواقف كل من بريطانيه والصهيونية بعضهما من بعض باستمرار تعاونهما، ومن تضارب الاهداف من جهة ثانية ، راجع الى مصالحهما المشتركة في ربح الحرب العالمية الثانية . فقد كانت بريطانيه بحاجة لمساعدة اليهود العسكرية ، بيد انها لم تكن تريد اثارة نقمة العرب ضدها ، والدليل على ذلك الرقابة الصارمة التي كانت على كل التقارير الاذاعية والصحفية المتضمنة انباء عن وجود الفرقة اليهودية واعتراف بريطانيه بها (٢٩) . فقد كانت بريطانيه بحاجة لتأييد العرب بعد الحرب مباشرة . اما الصهيونيون فقد خاضوا الحرب لتقوية جيشهم وبالتالي تعزيز مركزهم من السلطة في فلسطين ، كما كان في مصلحتهم القصوى عدم احتلال القوات النازية لفلسطين ، وقد حاولوا تغيير موقف الحكومة البريطانية من سياسة الكتاب الابيض .

---

٢٧ ــ برلمان ، المصدر نفسه، ص ٤٥ ، وبارزوهار ، المصدر نفسه ، ص ١١٦ .

٢٨ ــ نقلا عن مقالة واينستوك ، المصدر السابق .

٢٩ ــ كستلر ، المصدر نفسه ، ص ٨١ .

وكان هذا التباين في اهداف المستقبل (من جهة بريطانيه البقاء في فلسطين وتأييد العرب ، ومن جهة الصهيونيين انهاء الانتداب واقامة الدولة اليهودية) هو الذي انهى هذا التعاون القصير .

١٩٤٥ ـ ١٩٤٨

عند انتهاء الحرب ، انتظر الصهيونيون من بريطانيه ان تغيّر سياسة الكتاب الابيض وان تفتح باب الهجرة لليهود على مصراعيه ، وذلك بعد زوال المانيه الهتلرية وخطر اتجاه العرب نحوها . فقد كان هنالك ٩٨,٠٠٠ يهودي في النمسه و ٣٠٠,٠٠٠ في هنغاريه ورومانيه بدون بيوت محددة ، يسكنون في معسكرات اقامتها جيوش الحلفاء (٣٠) ، وكان وايزمان ، مبعوث الوكالة اليهودية الى لندن ، يحاول اقناع الوزارة العمالية باعطائه تصاريح لهجرة مئة الف يهودي الى فلسطين ، بيد ان وزير الخارجية البريطانية ارنست بيفن Bevin اصرّ على الاستمرار في سياسة الكتاب الابيض والسماح لالف وخمسمئة مهاجر يهودي فقط بالدخول الى فلسطين شهريا ، وذلك لمدة محدودة ، بانتظار قيام دولة عربية تربطها روابط « صداقة ومنفعة مشتركة » مع بريطانيه (٣١) .

وهنا اتجهت الهاغانا والوكالة اليهودية للارهاب بشكل مباشر وواضح . وكانت اول عمليات الهاغانا اقتحام احد السجون العسكرية البريطانية واطلاق سراح بعض المساجين من اليهود المحكومين بالنفي ، (تشرين الاول ، اكتوبر ، ١٩٤٥) ، وبدأت الصحافة اليهودية في فلسطين تصف الهاغانا بانها

---

٣٠ ـ المصدر السابق ، ص ١٠٥ .
٣١ ـ المصدر السابق ، ص ١١٣ .

«حركة المقاومة اليهودية» (٣٢) . ثم اعتذر بن‌جوريون وموشي شرتوك (سكرتير عام الهستدروت) مجددا بأنهما « يأسفان لاراقة الدماء » ، ولكن « لا سبيل للوكالة اليهودية في ايقاف الاعمال الارهابية » (٣٣) ، كما بدأت الوكالة اليهودية والهاغانا باقامة علاقات سرية مع المنظمات الارهابية اليمينية (الارغون وشترن) . وعلى اثر اعلان بيفن تأسيس اللجنة الانجلو ـ اميركية لتفقد الحالة في فلسطين، اعلن يهود فلسطين الاضراب العام لمدة ثلاثة ايام ، تبعتها اعمال ارهابية كثيرة في جميع انحاء فلسطين ، قتل خلالها عدد كبير من الناس . ثم ردت سلطات الانتداب على ذلك باستخدام ١٥ر٠٠٠ جندي بريطاني لاعتقال الارهابيين ومصادرة الاسلحة . وبالفعل ، صودرت بعض الاسلحة ، وقتل بعض اليهود خلال مقاومتهم لعمليات التفتيش هذه . وردا على ذلك ، قامت الهاغانا بوضع العبوات المتفجرة في بعض مراكز البوليس ، كما نسفت جميع محطات توليد الطاقة الكهربائية ، واصبحت بذلك عمليات الهاغانا والمنظمات الارهابية بمثابة حرب عصابات شاملة ضد الجيش البريطاني ، وكان الهدف منها اجلاء بريطانيه عن فلسطين والاخذ بزمام السلطة السياسية فيها. ومع ان الهاغانا رفضت الاعتراف بانها تتعاون مع الارغون ، الا انها ، على حد قول احد الكتّاب الصهيونيين (٣٤) ، «كانت تتصرف بالطريقة الكلاسيكية لليد اليمنى التي لا تعلم ماذا تفعل اليد اليسرى»، وقد صرح اتلي Attlee رئيس الوزارة البريطانية آنذاك ، بأن لديه تقارير تشير الى تعاون الهاغانا والارغون (٣٥) .

٣٢ ــ المصدر السابق ، ص ٩٧ .
٣٣ ــ المصدر السابق ، ص ١١٤ .
٣٤ ــ المصدر السابق ، ص ١٣٨ .
٣٥ ــ ووترز : الهاغانا ، ص ١١ .

في وجه هذا التيار الارهابي العارم والهادف الى طرد بريطانيه من فلسطين، قررت الحكومةالبريطانية سرا بأن تقوم بحملة واسعة من الاعتقالات في صفوف القيادات الصهيونية، لتجريد الهاغانا من اسلحتها ، ولتصفية الوكالة اليهودية. فقد كانت بريطانيه تعلم من خبرائها بأن الهاغانا قادرة على احتلال فلسطين والسيطرة عليها لحظة تركها البلاد (٣٦) . الا ان انباء هذه الخطة تسربت لاستخبارات الهاغانا ، واذاعتها اذاعة « صوت اسرائيل » عدة ايام قبل موعدها المحدد ، مما ادى الى اختباء معظم القادة اليهود والى نقل اسلحة الهاغانا الى مخابىء جديدة واكثر امانة. وبالرغم من علم بريطانيه انتسرب اخبار خطتها قد قضى على هذه الخطة قبل المباشرة بها ، فقد حاولت تنفيذ الخطة هذه في موعدها ، حزيران (يونيو) ١٩٤٦ ، واعتقلت بالفعل ٣٠٠٠ من الزعماء الصهيونيين وصادرت بعض الاسلحة ، الا انها فشلت في تحقيق ما ارادت. فقد كانت متطلبات الخطة هذه القيام بعمليات عسكريةواسعة النطاق ضد الهاغانا من جهة ، وضد مستوطني الكيبوتزيم ، حيث خبئت الاسلحة ، من جهة اخرى ، وبالتالي ضرورة سفك دماء الكثير من اليهود ، الشيء الذي لم تكن بريطانيهعلى استعداد لعمله ، خصوصا وان ذكرى معسكرات التصفية الهتلرية كانت لا تزال قريبة .

في هذا الوقت ، كان بن جوريون قد ذهب الى اوروبه لحضور المؤتمر الصهيوني العالمي في بازل (كانون الاول ، ديسمبر ، ١٩٤٦) ، حيث واجه معارضة من نوع المعارضة التي كان يواجهها داخل المنظمة ، ولو بشكل اخف بكثير . فقد كان هناك من ينادي باستمرار التعاون مع بريطانيه . الا ان بن جوريون ربح المعركة بسهولة ، ثم اعطى المؤتمر الصلاحيات

---

٣٦ ـ كستلر ، المصدر نفسه ، ص ١١٨ وما بعدها .

المطلقة للمجلس التنفيذي (الذي كان يرأسه بن جوريون) ، كما انيط بهذا المجلس « الدفاع » عن يهود فلسطين (٣٧) .

وعند رجوعه الى فلسطين ، قام بتنظيم حملة ارهابية جديدة ردا على خطوات بريطانيه . فعلى سبيل المثال ، كانت السلطات العسكرية البريطانية تحكم بالاعدام على عدد من الارهابيين اليهود ، وكان الصهيونيون مقابل ذلك يقومون بخطف الجنود البريطانيين واعدامهم بعد محاكمة صورية (٣٨) . كما انه قام بتنظيم حملات لجمع التبرعات ولشراء الاسلحة بوسائل مختلفة وحذقه . فمثلا ، قام الصهيونيون بتأسيس « شركة بنمه للطيران » ، التي كانت تشتري الطائرات تحت الصفة التجارية وترسلها الى فلسطين ليستعملها الهاغانا (٣٩) . كذلك قام الصهيونيون بحملة دعائية جديدة في الولايات المتحدة ، كان من جرائها ان رضخ ترومان للضغط الصهيوني في حملته الانتخابية ، وشكّل بذلك سابقة في السياسة الاميركية ينتهجها مرشحو الرئاسة حتى يومنا هذا .

في وجه الارهاب الصهيوني في فلسطين ، والضغط من الولايات المتحدة الاميركية والرأي العام البريطاني ، اعلنت السياسة البريطانية عن افلاسها تجاه قضية فلسطين ، وذلك بتقريرها نفض يديها من المسألة وطرحها للبحث في الامم المتحدة (شباط ، فبراير ، ١٩٤٧) . وكانت هذه اول مرة تظهر فيها السياسة الانتدابية البريطانية على حقيقتها : من تذبذب وعدم اعتماد سياسة معينة ، الى قصر النظر من ناحية السياسة البعيدة المدى ، الشيء الذي ادى الى افلات زمام

---

٣٧ - بارزوهار ، المصدر نفسه ، ص ٩٢ .
٣٨ - كستلر ، المصدر نفسه ، ص ١٣٤ .
٣٩ - بارزوهار ، المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .

الامور من يديها والى نقض متطلبات وعد بلفور تجاه العرب ، والى خسارة نفوذها في الشرق الاوسط لصالح الولايات المتحدة الاميركية .

وهكذا تألفت لجنة تابعة للامم المتحدة لدراسة قضية فلسطين ، اوصت بالتقسيم . بيد ان بريطانيه رفضت هذه التوصية بقولها ان تنفيذ التوصية يستوجب استعمال القوة العسكرية ، وان بريطانيه غير مستعدة لذلك . وفي اجتماع الجمعية العمومية في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، تقرر تقسيم فلسطين ب ٣٣ صوتا مقابل ١٣ وبامتناع عشر دول ، من بينهم بريطانيه عن التصويت ، وتبع هذا القرار اجتماع للهيئة العربية العليا لفلسطين ، التي دعت الى اضراب عام لمدة ثلاثة ايام ، تخللته اعمال مقاومة عربية ضد محاولات التسلل الصهيونية ، وقد تطورت هذه المقاومة واتسع نطاقها الى ان دخلت ارض فلسطين القوات العسكرية العربية لمواجهة الخطر الصهيوني .

الفصل السابع

اليسار الصهيوني والعرب

جاء الصهيونيون الى فلسطين ليستولوا عليها وليبنوا فيها الهرم الاقتصادي بشكله الطبيعي ، وبذلك استثنوا مشاركة العرب منذ البداية ، وكانت هجرتهم ، بطبيعتها الاستيطانية على نطاق واسع ، معادية للعرب للسبب البسيط ـ انها زرع جسم غريب يستولي على الارض العربية . فان البناء الذي اراده الصهيونيون هو بناء يهودي صرف ، ومجرد التفكير باشراك اي عنصر غير يهودي هو تفكير مناف للاهداف الصهيونية ـ يمينية كانت او يسارية ـ التي كان القصد منها بناء دولة عنصرية على اساس اسطورة دينية . بيد انهم مع بناء هذا البنيان العنصري في محيط مختلف ، حاولوا التزلف الى العرب والعمل بقدر المستطاع على كسب تأييدهم. لذلك، كان عليهم الظهور بمظهر اللاعنصرية والعقلية المتفتحة ، بمظهر الشعب المضطهد الذي لا يبغي اضطهاد احد ، وبذلك اضطر قسم منهم على الاقل الى التكلم عن علاقتهم الطيبة مع العرب ونواياهم الحسنة تجاههم بينما كانت الاغلبية تكشف عن اطماعها ومخططاتها . ولنستعرض الآن وجهات نظر الفئات اليسارية الصهيونية المختلفة تجاه العرب وتجاه العلاقات العربية ـ اليهودية .

كان الماباي يدعو للاخوية العمالية بين الطبقات العاملة العربية واليهودية ، قال بن جوريون في صحيفة دافار في

العام ١٩٣١ « ان العامل العربي اخونا في مصيرنا ، وشريكنا في ارض آبائنا . ان مستقبله هو مستقبلنا ومسؤولياته مسؤولياتنا » (١) . ومن جهة اخرى ، كان المباي ملتزما ببناء وطن قومي يهودي من خلال اقتصاد معزول عن «شراكة» الاقتصاد العربي ، وهذا هو الشيء الذي ادى الى ظهور « المشكلة العربية » ، كما كان بن جوريون يصر على تسمية العرب الفلسطينيين ، على غرار وجود « مشكلة يهودية » من جراء وجود فئة يهودية لا مكان لها في الاقتصاد الاوروبي . وللوصول الى حل لهذه المشكلة ، حاول بن جوريون الوصول الى اتفاق سياسي مع مشكلته هذه . بيد انه زعم انه لم يجد اي امل في الوصول الى اتفاق مع المتنفذين العرب من الاقطاعيين الذين كانوا يبيعونه الارض ليطرد فلاحيها منها ، اي ان الحل الوحيد يقع في الوصول الى اتفاق مع الطبقات العاملة العربية الاخوية .

لهذا السبب ، وضع الهستدروت ، في مؤتمره للعام ١٩٢٧ ، خطة لبناء اتحاد عمالي فلسطيني مبني على اقتصاد عربي واقتصاد يهودي واقتصاد مختلط ، وكانت اهم نقاط هذا الاتفاق ما يلي :

« ان لجميع العمال الفلسطينيين ، بغض النظر عن ديانتهم او قوميتهم او عنصرهم ، الحق في الانضمام الى هذا الاتحاد بواسطة اقسامه القومية ، وسيكون الهستدروت القسم اليهودي من هذا الاتحاد ، بانتظار تأليف اتحاد او اتحادات قومية اخرى على الاسس التنظيمية للهستدروت نفسها .

ستوحد النقابات العمالية جميع العمال في مهنهم الخاصة

---

١ ــ نقلا عن مؤسسة الاسكو ، الجزء الاول ، ص ٥٧٢ .

لحماية مصالحهم العمالية ... ولدعم الشعور الاخوي العمالي، بغض النظر عن المهنة او الدين او القومية او العنصر .

الى حين تأسيس الاتحادات القومية هذه من قبل الاتحاد العام، ستقوم منظمات الهستدروت، كمنظمة التسليف ومنظمة التأمين الصحي، بتقديم الخدمات للعمال غير اليهود، كلما كان هذا ضروريا ... » (٢) .

ولا حاجة هنا الى القول بأن هذه الخطة بقيت حبرا على ورق، من جراء عدم اخلاص الصهيونيين فيما صرحوا به، ولعدم استعداد العمال والفلاحين العرب التعاون مع عدو يريد الاستيلاء على بلادهم .

هذه الخطة لانشاء منظمات عمالية على اسس قومية لقيت معارضة شديدة من طرف منظمة الحارس الفتى . فقد رأى هؤلاء بان الحل النهائي للمشكلة اليهودية لن يتحقق الا عن طريق الثورة الاشتراكية التي ستلغي الطبقات وتزيلها . وبما ان الصراع الطبقي اليهودي هو جزء لا يتجزأ من الصراع الطبقي العالمي، فان الثورة الاشتراكية في فلسطين يجب ان تقوم على اكتاف العمال العرب واليهود سوية، وان واجب الطبقة العاملة اليهودية هو بالتالي نشر الوعي الاشتراكي بين الصفوف العمالية العربية (٣) .

بهذا الشكل لم يعتبر اعضاء الحارس الفتى العلاقات العربية ـ اليهودية عملية سياسية جانبية، كما هي الحال مع الماباي، بل هدفا مستقلا وجزءا مكملا من السياسة الصهيونية ككل، ورفض اعضاء الحارس الفتى فكرة الدولة اليهودية على اساس ان الهدف النهائي هو انشاء دولة اشتراكية غير معتمدة

---

٢ ـ المصدر السابق، ص ٥٧٣ .
٣ ـ المصدر السابق، ص ٥٧٦ .

على الفوارق القومية والعنصرية . ومن هنا كان رفض الحارس الفتى سياسة الهستدروت القائلة بوجوب عدم استعمال اليد العاملة غير اليهودية ، ثم دعا الحارس الفتى الى قيام نقابات وتنظيمات عمالية على اسس طبقية لا قومية ، كما هو الحال في خطة الهستدروت . الا ان هذه الخطة لم تنجح ، لانعدام ثقة العرب بالصهيونيين وللنزعة العنصرية القذرة في نظـرة اليهود للعرب (٤) ، الشيء الذي وضع هؤلاء اليهود في موقف متناقض : من جهة ، ضرورة قيام الاتحاد هذا والعمل الجدي في هذه الناحية ، ومن جهة اخرى اعتبار انفسهم ممدني العرب وبالتالي اتصافهم روح الوصاية التي تتنافى مع الروح العمالية الحقة . فهم سينقذون الفلاح العربي « الجاهل » من براثن الافندي المستغل ، وسيعملون على « تمدينه » وجرّه وراء تقدمهم .

اما يسار عمال صهيون ، فقد كانت المنظمـة الاكثـر اشتراكية والاكثر التزاما بالماركسية ، وبالتالي الاكثر تأكيدا على العامل الاشتراكي الاممي مقابل العامل القومي . هاجمت هذه المنظمة الهستدروت لكونه عنصريا اكثر مما هو اشتراكي، ولانه ، في عمله لتحقيق الاهداف الصهيونية ، قد ساوم على اشتراكيته وتعامل ليس مع الرأسماليين اليهود فحسب ، بل مع الاقطاعيين العرب ايضا . واعلن احد قادتهم ، موسى اريم Erem ، بان الطريقة الوحيدة للوصول الى تفاهم عربي – يهودي هو الصراع المشترك ضد الرأسماليين العرب واليهود. فان الهدف النهائي للحركة العمالية اليهودية هو الاستيلاء على السلطة السياسية ، والطريق الوحيد الواجب اتباعه لتحقيق هذا الهدف هو انشاء منظمة عمالية لا قومية ، بدون المعالم

---

٤ – راجع افرايم برويدو : اليهود، العرب والشرق الاوسط، ص ٢٠ وما بعدها .

القومية او الثنائية القومية التي تتميز بها مقترحات كل من الهستدروت والحارس الفتى ، على التوالي . بكلمة اخرى ، طالب يسار عمال صهيون بتحويل الهستدروت من مؤسسة تهتم بالامور اليهودية الى مؤسسة تعمل على تنظيم الطبقة العاملة الفلسطينية ككل .

وكانت يسار عمال صهيون هي المنظمة الوحيدة التي حاولت ان تترجم اقوالها الى افعال . فقد دعت في العام ١٩٣٠ الى مؤتمر عمالي للعرب واليهود ، تحت شعار « من الانعزال القومي الى التعاون الاممي ، ومن العناد القومي الى الاخوية العمالية » (٥) . بيد ان سلطات الانتداب البريطاني تدخلت ومنعت استمرار المؤتمر بحجة اشتراك منظمات ممنوعة فيه (كانت يسار عمال صهيون وقتئذ منظمة سرية لاشرعية) . و « يقال بان سبب تدخل بريطانيه هو عدم رضاها عن اي تعاون بين العرب واليهود » (٦) ، وهذا ليس بمستبعد، اذ ان احد اسباب مساعدة الاستيطان الصهيوني كان تنفيذا لسياسة « فرّق تسد » التي اتبعتها الامبريالية البريطانية .

تعليقا على ما سبق ذكره ، لا يسعنا الا الاستشهاد بما كتبه ارثر كستلر ، الصحافي المؤيد للصهيونية، والذي امضى فترة غير قصيرة في فلسطين خلال الاربعينات ، يقول :

« ... لن يستطيع اليهود حمل العرب على قبول مصيرهم (بتأسيس الدولة اليهودية) بمحض ارادتهم .

بيد ان النقطة الاساسية هي ان اليهود لم يبدوا اية محاولات جدية في هذه الناحية على الاطلاق . فقد كان

---

٥ ــ مؤسسة الاسكو ، المصدر نفسه ، الجزء الاول ، ص ٥٧٧ .

٦ ــ المصدر السابق ، ص ٥٧٨ .

« العرب » للصهيونيين مجرد صداع سياسي ، لا مشكلة اخلاقية او انسانية . فقد تكلموا كثيرا عن التقارب مع العرب، بيد انهم في الحقيقة لم يحاولوا ابدا تطبيق ما كانوا يقولونه . كانت فلسطين « ارضهم الموعودة » وعدوا بها من جبل سيناء ومن شارع داوننغ (٧) ، وجاءوا اليها لكي يمتلكوها كاصحابها، وكان وجود العرب شيئا عرضيا ، كوجود قطعة منسية من الاثاث في بيت مؤجر لأغراب ، لم تكن لديهم اية نية للالقاء بها خارجا الا اذا جاءت في طريقهم او عرقلت سيرهم . انهم لم يقصدوا ايذاء العرب . كل ما انتظروه منهم كان الجلوس والتفرج عليهم يأخذون بلدهم منهم ... لم يستغلوا العمال المحليين ذوي الاجرة الرخيصة كبقية المستعمرين ، بل استثنوا العرب من اقتصادهم المغلق اغلاقا تنسكيا . وكان هذا شيئا ضروريا بالنسبة لهم ، فقد كان احد اهداف الصهيونية الاساسية هو عكس هرم التشتت ... نظريا ، كانت جميع النقابات العمالية مفتوحة لليهود والعرب على السواء ، الا انه في الواقع ، لم يبذل الصهيونيون اي جهد لأجتذاب العمال العرب . نظريا ، كان اقصى اليسار الصهيوني يدعو الى انشاء جبهة موحدة من البروليتاريا العربية واليهودية لتحرير الفلاحين العرب من قبضة مستغليهم الاقطاعيين ، الا انه في الحقيقة ، كان كل يهودي ، ماركسيا كان ام غير ماركسي ، يعتبر نفسه عضوا من الجنس المختار، ويعتبر العربي ادنى منه مكانة» (٨).

---

٧ ـ شارع Downing في لندن ، مركز الحكومة البريطانية.
٨ ـ كستلر ، المصدر السابق ، ص ٣٣ ـ ٣٤ .

خاتمة

« ان الوحيد الذي يفهم ذلك (متطلبات نجاح الصهيونية) هو فاشستيكم جابوتنسكي » .

(موسوليني في حديث مع الحاخام براتو) (١)

« انما وجدته في اسرائيل هو اغيار يتكلمون العبرية » .

(جورج فريدمان) (٢)

كما رأينا في الفصل الاول من هذا الكتاب ، كانت الصهيونية ردة فعل اليهود تجاه حياة « الغيتو » اليهودي وبشكل غير مباشر في معظم الاحيان ، تجاه اليهودية نفسها ، لان الصهيونية كانت رفضا للحياة اليهودية الهامشية والطفيلية. كانت اولى متطلبات الصهيونيين جعل اليهود قوما طبيعيين ، وقد عنى هذا الطلب ضمنا التخلي عن اليهودية كدين قبليّ . بيد ان هذا التحرر من بقايا ذهنية القرون الوسطى لم يكن تحررا تاما ، اذ ان ضرورة التغيّر جاءت بسرعة فائقة منعت هذا التغيّر من النضوج . بذلك بقيت بعض فتاتات بنيان القرون الوسطى في ذهنية اليهود، فمنعتهم من التحول الكامل الى الطبيعة ، وما فتئت تقض عليهم مضاجعهم وتجذبهم الى الوراء . وهذا المطلب المتناقض للصهيونية : فهي تريد جعل

---

١ ـ بارزوهار ، المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

٢ ـ فريدمان ، المصدر نفسه ، ص ١٠٥ .

اليهودي طبيعيا ، بيد انها في الوقت نفسه تقول بالدولة اليهودية التي لا بد وان يكون لها علاقة حميمة بالماضي اليهودي الذي رفضته .

وبازدياد حدة العداء للسامية في اوروبه ، ازداد الحاح هذا الدافع للرجوع الى الوراء الى حد جعل الصهيونية تتحول الى حركة منظمة هدفها تحقيق هذا الهدف المستحيل . وبتوسع هذه المنظمة وبتغذيتها هذه الروح الرجعية ، حوّلت فكرة الرجوع الى الوطن « الموعود » الى فكرة ملحّة ومهيمنة على العقل اليهودي الاوروبي (وخصوصا الشرقي) ، الى فكرة تستعبد صاحبها وتمنعه من امكانية النظر وراءه او امامه ، فكرة تحوّل نظر صاحبها عن كل شيء آخر غيرها وتحد من انفتاح ذهنه الى درجة مخيفة ، فكرة تجسدّ نفسها في عدم امكانية صاحبها استيعابها وفي عجزه عن استيعاب موقفه ووضعه ككل . فهي تصوّر نفسها ازلية موجودة منذ الفي سنة ، وهي بذلك تصوّر الماضي بشكل الحاضر وبالتالي تعمل على تشويهه .

ان لهذا شبها كبيرا مع العقائد القومية ـ الاشتراكية (الفاشية والنازية) . فالمكانية التي تتمتع بها الفكرة الطاغية في كلا الحالتين متساوية : فكلاهما يبدأ بالحديث عن قومية ازلية نائمة يجب ايقاظها وتحقيقها من خلال الدولة التي تهيمن على كل اعتبار آخر (٣) . وكلاهما ، بحديثه عن ازلية القومية انما يعبّر عن عجزه عن استيعاب مفهوم القومية والدولةهذه. فالصهيونية ، كما هي الحال مع الفاشية ، حركة بورجوازية

---

٣ ـ انظر ، على سبيل المثال ، خطاب هتلر الى عمال مصنع راينمتال ـ بورسنغ Reinmetall-Börsing في برلين (١٠ كانون الاول ، ديسمبر ، ١٩٤٠) .

صغيرة مستلبة تحاول عكس هذا الاستلاب عن طريق الالتصاق بفكرة ازلية ملازمة لصاحبها وجاذبة له بشكل كلي " ، وعلى حد قول موسوليني ، ان الروح التي توحد افراد شعب ما مصدرها « الفكرة المجسّدة في ارادة الاستمرار » (٤) ، كما ان هذه الروح مستمدة من التراث القومي ، ولذا وجب التأكيد على هذا التراث والرجوع للوراء من اجل الامساك به (٥) .

كل هذا ، الرجوع للوراء والعبودية الذهنية ، من اجل الفكرة .

واليسار الصهيوني ، برغم كونه يسارا ، فهو صهيوني ، وبالتالي تهيمن على ذهنه سيطرة الفكرة الصهيونية . وما الاشتراكية الا النزعة الفكرية الصادرة عن وضع العامل الصهيوني ، هذا الوضع الذي لم يتمكن من استيعابه ، (من الملاحظ ان الصهيونيين الغربيين نادرا ما كانوا اشتراكيين ، اذ لم يكونوا في وضع عمالي كما في اوروبه الشرقية) . فاليسار الصهيوني اذن جزء من النشاط الصهيوني ككل ، وقد كان العامل الرئيسي في تحقيق الفكرة الصهيونية بكونه الباني للشكل الداخلي للدولة اليهودية . وان تطور اليسار الصهيوني ، تحت ضغط « التحول من الاتجاه الايديولوجي نحو الاتجاه العملي » (٦) ، هو تطور الاشتراكية الصهيونية اكثر مما هو تطور الصهيونية نفسها: فقد تغلبت هيمنة الفكرة الصهيونية بشكلها النقي الممثل في افكار جابوتنسكي ، على المقاومة الاشتراكية ، وخصوصا بعد ان اخذ اليسار الصهيوني على عاتقه مهمات عملية اوضحت له الهدف الحقيقي الذي كان

---

٤ — موسوليني : العقيدة الفاشية ، ص ١١ .

٥ — قارن ما يقوله بهذا الصدد موس ، المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

٦ — ايزنشتات : المجتمع الاسرائيلي ، ص ٢٩ .

يعمل من اجله ، وامكانية العمل في سبيل تحقيق الشقين من الايديولوجية اليسارية الصهيونية . فان متطلبات تحقيق اهداف الصهيونية هي طغيان فكرة الصهيونية على اي اعتبار آخر اشتراكيا كان ام غير اشتراكي – كما كان جابوتنسكي يصر على القول ، وكما اصبح الحال مع اليسار الصهيوني خلال تطوره وفي العام ١٩٤٨ «الاستثنائي» على وجه الخصوص.

هذا من الناحية الذاتية . اما من الناحية الموضوعية ، فما هو دور الاشتراكية في العمل الصهيوني ؟ استنادا على الاسس البوروشوفية ، كان على الصهيونية ان تمهد الطريق للاشتراكية . الا انه في الواقع ، كانت الاشتراكية هي التي مهدت للصهيونية ، فقد جاء البنيان الاشتراكي في فلسطين مكملا للعمل الصهيوني ككل ، وعلى حد تعبير مايكل بارزوهار، « كان الهستدروت جواب بن جوريون (واليسار الصهيوني) على وعد بلفور » (٧) ، وكان الكيبوتز اداة الاستيطان الصهيوني وليس نهاية اشتراكية في ذاتها . والدليل على ذلك هو وجود مزارع جماعية تعتمد الاسس الاقتصادية – الاجتماعية الاشتراكية ، وتتبع في الوقت نفسه احزاب اقصى اليمين المحافظ (٨) . كما ان الكيبوتز انتج الاداة الرئيسية التي عملت على تحقيق الفكرة الصهيونية ، بغض النظر عن اي اعتبار آخر ، واعني بذلك الروح العسكرية ، التي دفعت موشي ديان علي القول في ٢٣ آب (اغسطس) ١٩٦٨ (ولد موشي ديان وترعرع في الكيبوتز دجانيا) « نعم ، انا اؤمن بالحرب ، لانها تظهر افضل ما عند الانسان من اخلاق وشجاعة وانسانية» (٩)

---

٧ – بارزوهار ، المصدر نفسه ، ص ٣٦ .
٨ – راجع كانوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .
٩ – نقلا عن « الانوار » في عددها الصادر في ٢٦ آب

(التتمة على الصفحة التالية)

وبذلك انقلبت المرحلية البوروشوفية رأسا على عقب : فقد اصبحت الاشتراكية الهدف الادنى ، الوسيلة ، بدلا ان تكون الهدف حسب البرنامج البوروشوفي .

والآن ، وقد تحققت الفكرة الصهيونية في مرحلتها الحاضرة ، ما الذي حققته ؟ هل ارجعت اليهود الى الوراء ؟ كلا . هل عملت منهم شعبا طبيعيا ؟ كلا ، فهم لا يزالون في الطور القبلي من الدين اليهودي ، وذلك باصرارهم على دولة يهودية تضم الشعب « المختار » الا انهم غير يهود بالمعنى التقليدي لليهودية ، فهم « اغيار يتكلمون العبرية » (١٠) . ان الشيء الذي فعله اليسار الصهيوني بتحقيقه للصهيونية هو عدم ايجاد حل كامل لمشكلة اليهود كيهود ، وذلك على حساب مليون ونصف عربي ، وان عدم ايجاد الحل هذا جعل من العمل الصهيوني ونتائجه ، ان نحن نظرنا اليه بعد بدايته باكثر من نصف قرن ، عملا غير ضروري . وبكونه غير ضروري وضار في الوقت نفسه تكمن مأسويته .

(اغسطس) ١٩٦٨ . قارن « ان النزعة الامبريالية... الكامنة في الفاشية هي احدى معالم الحيوية » . (موسوليني ، المصدر نفسه ، ص ٢٣) .

١٠ – راجع اسعد رزوق ، المصدر نفسه ، في اماكن مختلفة ، راجع ايضا فريدمان ، المصدر نفسه ، في اماكن مختلفة .

المصادر المشار اليها في النص

١ ـ الكتب العربية :

(صادرة عن مركـز الابحاث في منظمـة التحرير الفلسطينية ، بيروت) .

ـ الدكتور اسعد رزوق : الدولة والدين في اسرائيل ، بيروت ١٩٦٨ (سلسلة دراسات فلسطينية) .

ـ ابراهيم العابد : الماباي ، الحزب الحاكم في اسرائيل ، بيروت ١٩٦٦ (سلسلة دراسات فلسطينية) .

ـ اسعد عبد الرحمن : المنظمة الصهيونية العالميـة : تنظيمها واعمالها ، ١٨٩٧ ـ ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٦٧ (سلسلة دراسات فلسطينية) .

ـ عبد الوهاب كيالي : الكيبوتز : المزارع الجماعية في اسرائيل، بيروت١٩٦٦ (سلسلةدراسات فلسطينية).

٢ ـ الكتب الاجنبية :

— BADI, Joseph : **The Government of the State of Israel**; (Twayne Publishers, New York, 1963).

— BARON, Salo, W. : **The Russian Jew under Tsars & Soviets**; MacMillan, New York, 1964).

— BAR-ZOHAR, Michael : **The Armed Prophet;** A biography of Ben-Gurion, translated by Len Ortzen; (Arthur Barker Ltd; London 1967).

— BEIN, Alex : **The Return to the Soil** : A History of Jewish Settlement in Israel; (Youth and Hechalutz Department of the Zionist Organisation, Jerusalem, 1952).

— BERNSTEIN, Marver H., : **The Politics of Israel;** the first decade of Statehood (Princeton University Press, 1957).

— BOROCHOV, Ber : **Selected Essays in Socialist Zionism,** ed. S. Levenberg (Rita Searl, London, 1948).

— DAWIDOICZ, Lucy S. : **The Golden Tradition :** Jewish life and thought in Eastern Europe (Valentine Mitchell, London, 1967).

— DUBNOW, Simon : **History of the Jews in Russia and Poland,** Vol. III. Jewish Publications Society of America, Philadelphia, 1946).

— EISENSTADT, S. N. : **Israeli Society** (Weidenfeld and Nicolson, London, 1967).

— **EDELMANN, M. : Ben-Gurion, A Political Biography,** (Hodder & Stroughton, London, 1964).

— The ESCO Foundation : **Palestine :** A Study in Jewish, Arab and British Policies, 2 vols. (Yale University Press, New Haven 1947).

— FRIEDMANN, Georges : **The End of the Jewish People ?** tr. by Eric Mosbacher (Hutchinson, London, 1967).

— HADAWI, Sami : **Bitter Harvest** (New World Press, New York, 1967).

— HELLER, Joseph : **The Zionist Idea,** (Joint Zio-

nist Publications Committee, London, 1947).

— HERTZBERG, Arthur (ed.) : **The Zionist Idea; A historical analysis and reader** (Harper Torchbooks, New York, 1966).

— HERZL, Theodor : **The Complete Diaries vol. IV** (Herzl Press, New York, 1960).

— HUREWITZ, J. C. : **The Struggle for Palestine** (W. W. Norton & Co., New York, 1950).

— INFIELD, Henrik F. : **Cooperative Living in Palestine.** (Kegan Paul, Trench, Trubner & Co. Ltd., London, 1946).

— KANOVSKY, Eliyahu : **The Economy of the Israeli Kibbutz.** (Centre for Middle Eastern Studies, Harvard University Press, 1966).

— KOESTLER, Arthur : **Promise and Fulfillment;** Palestine 1917-1949, (McMillan, London, 1949).

— LENIN, V.I. : **Collected Works, Vol. VII** (Foreign Languages Publishing House, Moscow 1966).

— LEON, Abraham : **The Jewish Question; A Marxist Interpretation** (Ediciones Pioneras, Mexico, 1950).

— LEVENBERG, S. : **The Jews and Palestine; A** Study in Labour Zionism, (Poale Zion, London, 1945).

— MARX, Karl : **A World Without Jews** (Wisdom Library, New York, 1959).

— MUSSOLINI, Benito : **Doctrine of Fascism.** (Colorado University, n.d.).

— PEARLMAN, Moshe : **The Army of Israel.** (Philosophical Library, New York, 1950).

— PREUSS, Walter : **The Labour Movement in**

Israel. (Rubin Mass, Jerusalem, 1965).

— SACHAR, Howard M. : **The Course of Modern Jewish History**. (Della Books, New York, 1963).

— SCHAPIRO, Leonard : **The Communist Party of the Soviet Union**. (Eyre and Spottiswoode, London, 1960).

— SCHRAM, Stuart : **Marxisme et Asie**. (Armand Collin, Paris, 1965).

— SOKOLOW, Nahum : **History of Zionism, 1600-1918, Vol. I**. (Longmans, London, 1919).

— SPIRO, Melford E. : **Kibbutz : Venture in Utopia**. (Schocken Books, New York, 1963).

— STERN, Boris : **The Kibbutz That Was**. (Public Affairs Press, Washington D.C., 1965).

— TAYLOR, Alan R. : **Prelude to Israel; an analysis of Zionist Diplomacy 1897-1947** (Philosophical Library, New York, 1959).

— TOYNBEE, Arnold : **A Study of History, Vol. VIII**. (Oxford University Press, 1963).

— WEBER, Max : **General Economic History**. (Collier Books, New York, 1966).

— WEIZMANN, Chaim : **Trial and Error**. (Philosophical Library, New York, 1949).

٣ ـ الكتيبات :

— BROIDO, Ephraim : **Jews, Arabs & the Middle East**. (Poale Zion, London, 1943).

— ROLBANT, Samuel : **Mapai; The Israel Labour Party**. (Ichud Olami, Tel-Aviv, n.d.).

— WATERS, M. P. : **Haganah; The Story of Jewish Self-Defence in Palestine**. (Newman Wesley, London, 1947).

٤ ـ المقالات :

— ANABTAWI, Mounthir : Le Sionisme : Un Mouvement Colonialiste, Chauvin, et militariste; **Les Temps Modernes,** No. 253 BIS, 1967, PP. 106-127.

— MOSSE, George : The Genesis of Facism; **Journal of Contemporary History,** Vol. I, No. I, 1966, PP. 15-34.

— WEINSTOCK, Nathan : Israel, Le Sionisme et la lutte des classes; **Partisans,** No. 20, Avril/Mai 1965, PP. 20-33.

٥ ـ الجرائد :

ـ **الانوار** ، العدد ٢٨١٣/٣٩ ، في ١٩٦٨/٨/٢٣ .

منظمة التحرير الفلسطينية
مركز الابحاث
٦٠٦ شارع السادات - بيروت

صدر من

سلسلة « دراسات فلسطينية » :

	السعر ل.ل.
١ ـ « الاستعمار الصهيوني في فلسطين » ، للدكتور فايز صايغ (بالعربية والانجليزية والفرنسية والالمانية والدانمركية)	١
٢ ـ « الهدنة في القانون الدولي » ، للدكتور عابدين جبارة (بالانجليزية)	٢
٣ ـ « المطامع الصهيونية التوسعية »، للاستاذ عبد الوهاب كيالي (بالعربية)	٢
٤ ـ « الكيبوتز : المزارع الجماعية في اسرائيل » ، للاستاذ عبد الوهاب كيالي (بالعربية)	٢
٥ ـ « الجذور الارهابية لحزب حيروت الاسرائيلي »، للاستاذ بسام ابو غزالة (بالعربية)	٢
٦ ـ « المقاطعة العربية لاسرائيل » ، للاستاذ مروان اسكندر (بالانجليزية والعربية والالمانية)	٢

	السعر ل.ل.
٧ ـ « المباي : الحزب الحاكم في اسرائيل » ، للاستاذ ابراهيم العابد (بالعربية)	٢
٨ ـ « نظرة في احزاب اسرائيل »، للدكتور اسعد رزوق (بالعربية والالمانية)	٢
٩ ـ « الهستدروت » ، للآنسة ليلى سليم القاضي (بالعربية)	٢
١٠ـ « العنف والسلام » ، للاستاذ ابراهيم العابد (بالعربية)	٢
١١ـ « التسلل الاسرائيلي في آسيه »، للاستاذ اسعد عبد الرحمن (بالعربية).	٢
١٢ـ « ميزان القوى العسكرية » ، للدكتور انيس صايغ (بالعربية)	٢
١٣ـ « الدبلوماسية الصهيونية » ، للدكتور فايز صايغ (بالعربية ويترجم حاليا الى الانجليزية والفرنسية)	٢
١٤ـ « العرب في اسرائيل ـ ج ١ » ، للاستاذ صبري جريس (بالعربية ويترجم حاليا الى الانجليزية والفرنسية)	٢
١٥ـ « المنظمة الصهيونية العالمية » ، للاستاذ اسعد عبد الرحمن (بالعربية)	٢
١٦ـ « عوامل تكوين اسرائيل » ، للآنسة انجلينا الحلو (بالعربية وسيصدر قريبا بالانجليزية)	
١٧ـ « اخطار التقدم العلمي في اسرائيل » ، للاستاذ يوسف مروة (بالعربية)	٢
١٨ـ « التخطيط في اسرائيل »، للاستاذ بسام ابو غزالة (بالعربية)	٢
١٩ـ « اسرائيل قبيل العدوان » ، للاستاذ رفيق مطلق (بالعربية)	٢
٢٠ـ « البترول العربي سلاح في المعركة »، للشيخ عبد الله الطريقي (بالعربية)	٢
٢١ـ « العرب في اسرائيل ـ ج ٢ » ، للاستاذ صبري جريس (بالعربية ويترجم حاليا الى الانجليزية والفرنسية)	٢

السعر
ل.ل.

٢٢ـ « في الادب الصهيوني » ، للاستاذ غسان كنفاني (بالعربية) ٢

٢٣ـ «اسرائيل في اوروبه الغربية» ، للاستاذين عقيل هاشم وسعيد العظم (بالعربية) ٢

٢٤ـ « المياه الاقليمية في القانون الدولي» للاستاذ احمد الشقيري (بالانجليزية وسيصدر قريبا بالعربية) ٢

٢٥ـ « التصويت والقوى السياسية في الجمعية العامة للامم المتحدة » ، للاستاذ مصطفى عبد العزيز (بالعربية) ٢

٢٦ـ « الموشاف : القرى التعاونية في اسرائيل » ، للاستاذ ابراهيم العابد (بالعربية) ٢

٢٧ـ « سكان اسرائيل : تحليل وتنبؤات » ، للاستاذ احمد حجاج (بالعربية) ٢

٢٨ـ « المقاطعة العربية في القانون الدولي » ، للاستاذ جوزف مغيزل (بالعربية) ٢

٢٩ـ « المرأة اليهودية في فلسطين المحتلة » ، للاستاذ اديب قعوار (بالعربية) ٣

٣٠ـ « الاتحاد السوفييتي وقضية فلسطين » ، للدكتور صلاح دباغ (بالعربية) ٢

٣١ـ « اضواء على الاعلام الاسرائيلي » ، للدكتور منذر عنبتاوي (بالعربية) ٢

٣٢ـ « اسرائيل والسياحة » ، للاستاذ الياس سعد (بالعربية) ٢

٣٣ـ « سياسة اسرائيل الخارجية » ، للاستاذ ابراهيم العابد (بالعربية) ٢

٣٤ـ « العدوان الاسرائيلي في الامم المتحدة » ، للدكتور جورج ديب (بالعربية) ٢

السعر ل.ل.	
٣٥ـ « الاقلية اليهودية في الولايات المتحدة الاميركية » ، للاستاذ مصطفى عبد العزيز (بالعربية)	٢
٣٦ـ « السياسة المالية في اسرائيل » ، للاستاذ يوسف شبل (بالعربية)	٢
٣٧ـ « الدولة والدين في اسرائيل » ، للدكتور اسعد رزوق (بالعربية)	٢
٣٨ـ « اسرائيل والنفط » ، للدكتور عاطف سليمان (بالعربية)	٢
٣٩ـ « اسرائيل والبطالة » ، للاستاذ الياس سعد (بالعربية)	٢
٤٠ـ « اسرائيل والسوق الاوروبية المشتركة » ، للآنسة انجلينا الحلو (بالعربية)	٢

صدر حديثا

٤١ـ « المابام » ، للآنسة لمياء جميل مجاعص (بالعربية)	٢
٤٢ـ « في الاستراتيجية الاسرائيلية » ، للدكتور محمد فاروق الهيثمي (بالعربية)	٢
٤٣ـ « التغلغل الاسرائيلي في افريقيه » ، للاستاذ رياض قنطار (بالعربية)	٢
٤٤ـ « دافيد بن جوريون » ، للآنسة تهاني هلسه (بالعربية)	٢
٤٥ـ « تخطيط الاعلام العربي » ، للاستاذ عقيل هاشم (بالعربية)	٢
٤٦ـ « اخطار التخطيط الصناعي في اسرائيل » ، للاستاذ يوسف مروه (بالعربية)	٣
٤٧ـ « الصهيونية وحقوق الانسان العربي ج ١ » للدكتور اسعد رزوق (بالعربية)	٢
٤٨ـ « الصهيونية وحقوق الانسان العربي ج ٢ » ، للدكتور اسعد رزوق (بالعربية)	٢
٤٩ـ « الوضع القانوني للمقاومة العربية في الارض المحتلة » ، للاستاذ الياس حنا (بالعربية) .	٢

منظمة التحرير الفلسطينية
مركز الابحاث
٦٠٦ شارع السادات - بيروت

اسس في شباط (فبراير) ١٩٦٥

تصدر عنه

(١) سلسلة « اليوميات الفلسطينية »

(٢) سلسلة « حقائق وارقام »

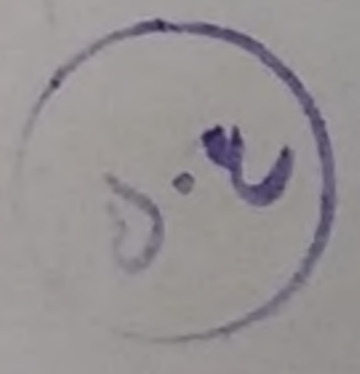
(٣) سلسلة « ابحاث فلسطينية »

(٤) سلسلة « دراسات فلسطينية »

(٥) سلسلة « كتب فلسطينية »

(٦) خرائط فلسطينية

(٧) سلسلة « نشرات خاصة »



السعر : ١٠ قروش في ج٠ع٠م٠ – ٢ ل٠س في ج٠ع٠س٠
٢ ل٠ل في لبنان وما يعادله في سائر الدول

السعر
٢٠٠
ل.ل